القسم الأول : الدراسة ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ترجمة موجزة للمؤلف :

اسمه ونسبه :

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن عمر بن نوفل بن عامر بن منصور بن محمد بن سباع بن مكي بن ثعلبة بن موسى بن سعيد بن مفضل بن عبد البر بن

قيس بن هلال بن عامر بن حسان بن محمد بن جعفر بن أبي طالب عم النبي .[1]

حياته ورحلاته:

ولد الثعالبي عام ستة وثمانين وسبعمائة بوادي يَسَّرٍ الذي يبعد عن الجزائر العاصمة بستة وثمانين كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي، ويعد هو موطن آبائه وأجداده الثعالبة .

ونشأ الثعالبي في أحضان أسرته نشأة يظهر أنها نشأة صالحة، وما كان له أن يرحل في طلب العلم على حداثة سنه- حيث ذَكر أنه بدأ الارتحال في أواخر القرن الثامن- لولا أنه أخذ من العلم حظاً يؤهله لمثل هذا الارتحال .

وألف الثعالبي رسالة صغيرة يذكر فيها رحلاته التي ذكر فيها أنه رحل في طلب العلم من ناحية الجزائر من وادي يَسَّر في أواخر القرن الثامن؛ ثم تناهت به الرحلة إلى بجاية[2] فدخلها عام اثنين وثمانمائة فلقي بها

[1] (?) انظر : الضوء اللامع للسخاوي 4/152، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي ص256-261، والحلل السندسية في الأخبار التونسية لمحمد الوزير السراج 3/628-632، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد مخلوف ص 264-265، والتحفة المرضية في الدولة البكداشية لمحمد بن ميمون الجزائري الملحق الثالث:334-359، وصفحات في تاريخ مدينة الجزائر لنور الدين عبد القادر ص 167-179 ، وتاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي 2/272-276، أعلام الجزائر لعادل نويهض ص 88 .

[2] (?) بِجَاية: مدينة من مدن الغرب الأوسط – الجزائر الآن- بينها وبين مدينة الجزائر أربعة أيام، وهي على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، في لِحْفِ جبلٍ شاهق، اخِتطّها الناصر بن علناس= =ابن حماد بن زيري . انظر : معجم البلدان 1/339، وصبح الأعشى للقلقشندي 5/104، وتاج العروس

أصحاب الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي[1]، وأصحاب الشيخ أحمد بن إدريس[2].

بعد بجاية رحل الثعالبي إلى تونس؛ فدخلها في أواخر عام تسعة وثمانمائة أو أوائل عام عشرة وثمانمائة، فوجد فيها أصحاب الشيخ ابن عرفة[3]، فأخذ عنهم، وحضر مجالسهم .

ثم رحل الثعالبي إلى المشرق؛ ودخل مصر، فلقي بها الشيخ أبا عبد الله محمد البلالي[4] ، فسمع منه

للزبيدي 14/235 .

[1](?) أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي الفقيه المحدث المفسر، وشيخ الجماعة ببجاية، من تآليفه: الأحكام الفقهية وتسمى الوغليسية و مقدمة في الفقه، توفي سنة 786هـ . انظر شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 237، وتعريف الخلف برجال السلف للحفناوي 1/78 .

[2](?) أحمد بن إدريس البجائي، أبو العباس، الإمام العلامة الصالح كبير علماء بجاية في وقته، يطلق عليه فارس السجاد لكثرة صلاته، له تعليق على بيوع الآجال من مختصر ابن الحاجب، توفي بعد الستين وسبعمائة . انظر الديباج لابن فرحون ص 81-82، وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 233، وتعريف الخلف برجال السلف للحفناوي 1/277 .

[3](?) ابن عرفة: محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي، أبو عبد الله إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، من كتبه : المبسوط في الفقه، والحدود الفقهية، مختصر في المنطق، مات سنة 803هـ . انظر نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي ص 463-471، وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 227 .

[4](?) البلالي : محمد بن علي بن جعفر البلالي العجلوني ثم القاهري الشافعي، شمس الدين، محدث فقيه صوفي، من تأليفه: مختصر إحياء علوم الدين ، ومختصر الروضة في الفقه، توفي سنة 820هـ. انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي 14/148، والضوء اللامع للسخاوي 8/178، وشذرات

البخاري، وقرأ عليه كثيراً من اختصاره لإحياء علوم الدين، ثم حضر قراءة شيء من الموطأ بمكة .
بعد ذلك رجع الثعالبي إلى مصر، ثم إلى تونس ولازم فيها أبا عبد الله محمد القلشاني[1] مدة.

الذهب لابن العماد 7/147 .
[1](?) القلشاني: محمد بن عبد الله القلشاني الفقيه، من علماء تونس وأكابر أصحاب ابن عرفة، ولي قضاء الأنكحة بتونس والتدريس بها، توفي سنة 836هـ . انظر الضوء اللامع للسخاوي 8/107، وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 244 .

بعد عشرين سنة من الرحلة في طلب العلم رجع الثعالبي إلى الجزائر، وتولى فيها الإمامة والخطابة بالجامع الأعظم، وما زال المنبر وعصا الخطبة موجودين إلى الآن، كما ولي القضاء ثم خلع نفسه، وتفرغ للعبادة والتأليف، ونشر العلم، فقصده الطلاب وما زالت تلك حاله حتى وافاه الأجل في صبيحة يوم الجمعة الثالث والعشرين من رمضان عام خمسة وسبعين وثمانمائة للهجرة فدفن بمكان يعرف : " جبَّانة الطلبة" بمدينة الجزائر.[1][2]

---

[1] (?) يسمى المكان الذي دفن فيه الثعالبي بسيدي عبد الرحمن؛ لكن الذي يدمي القلب أن قبره أصبح مزاراً يتبرَّك به، وتقام عنده الطقوس الشركية كما نقل ذلك غير واحد من أهل تلك البلاد، والله المستعان .

[2] (?) انظر الضوء اللامع للسخاوي 4/152، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي ص257-261، وصفحات في تاريخ مدينة الجزائر لنور الدين عبد القادر ص 167-179 ، وتاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي 2/272، أعلام الجزائر لعادل نويهض ص 88 .

شيوخه وتلاميذه :

إن كثرة رحلات الثعالبي أكسبته مزيداً من المشايخ الذين تلقى عنهم؛ فنجده أخذ من العلماء في بجاية ومصر وتونس وغيرها من البلدان التي رحل إليها .

فمن مشايخه في بجاية :

1. أبو العباس أحمد بن أبي زيد عبد الرحمن النَّقاوسي البجائي[810هـ] .[1]
2. أبو الحسن علي بن عثمان المانجلاني الزواوي [815هـ].[2]
3. أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الله بن هيدور التادلي [816هـ].[3]
4. أبو الربيع سليمان بن الحسن البوزيدي الشريف التلمساني [845هـ].[4]
5. أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشدَّالي [866هـ].[5]
6. أبو الحسن علي بن مكي الملياني .[6]

---

[1](?) انظر رحلة الثعالبي ص108، ونيل الابتهاج لأحمد التنبكتي ص 95-96، وأعلام الجزائر لعادل نويهض ص 25 .

[2](?) انظر رحلة الثعالبي ص 108، والضوء اللامع للسخاوي 5/261، وأعلام الجزائر لعادل نويهض ص 117 .

[3](?) انظر رحلة الثعالبي ص 108، ونيل الابتهاج ص 333، وأعلام الجزائر لعادل نويهض ص 122 .

[4](?) انظر رحلة الثعالبي ص 108، وأعلام الجزائر لنويهض ص 76، وتعريف الخلف للحفناوي 2/177 .

[5](?) انظر الضوء اللامع للسخاوي 8/290، وتعريف الخلف برجال السلف للحفناوي 1/109-110.

[6](?) انظر تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي 2/291، وأعلام الجزائر لنويهض ص122.

7. أبو الحسن علي بن محمد الْيَليلَتني .[1]
8. أبو زكريا يحيى بن أحمد العدلي البجائي [881هـ] .[2]

أما مشايخ الثعالبي في تونس فهم كثير؛ ومنهم :

1. ابو مهدي؛ عيسى بن أحمد الغبريني، قاضي الجماعة وخطيب الجامع الأعظم [815هـ] .[3]
2. أبو عبد الله محمد بن خلفة بن عمر الوشتاني الأُبِّي [828هـ] صاحب كتاب (إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم – جمع فيه بين ما كتبه المازري والقاضي عياض والقرطبي والنووي مع زيادات شيخه ابن عرفة- .[4]
3. أبو يوسف يعقوب بن أبي القاسم الزغبي التونسي [833هـ] .[5]
4. أبو العباس أحمد بن محمد المشهور بالشَّماع الهنتاتي [833هـ] .[6]
5. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد القلشاني الباجي [837هـ] .[7]

---

[1] (?) انظر رحلة الثعالبي ص 108 .
[2] (?) انظر الضوء اللامع للسخاوي 10/222، وتعريف الخلف برجال السلف للحفناوي 2/595.
[3] (?) انظر رحلة الثعالبي ص 109، وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 243 .
[4] (?) انظر رحلة الثعالبي ص 109، وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 244 .
[5] (?) انظر شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 244.
[6] (?) انظر شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 244 .
[7] (?) مضت ترجمته في ص 15 .

6. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الخطيب محمد بن مرزوق التلمساني [842هـ].[8]
7. أبو القاسم بن أحمد بن محمد البُرْزُلي البلوي القيرواني [844هـ] .[2]

أما شيوخ الثعالبي بمصر فهم :

1. أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر شمس الدين المعروف بالبلالي.[3]
2. أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين ولي الدين العراقي [826هـ].[4]
3. أبو محمد عبد الله بن مسعود بن علي التونسي الشهير بابن القرشية [827هـ].[5]
4. أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد شمس الدين البساطي [842هـ].[6]
5. أبو القاسم بن موسى بن محمد بن معطي الحافظ العبدوسي .[7]

---

[8](?) انظر نيل الابتهاج لأحمد بن بابا التنبكتي ص430-445، وشجرة النور لمحمد مخلوف ص 252 .

[2](?) انظر الضوء اللامع للسخاوي 11/133، وشجرة النور الزكية ص 245 .

[3](?) مضت ترجمته ص 14 .

[4](?) انظر رحلة الثعالبي ص 110، والضوء اللامع للسخاوي 1/336-344 .

[5](?) انظر الضوء اللامع للسخاوي 5/70 .

[6](?) انظر رحلة الثعالبي ص 110، والضوء اللامع للسخاوي 7/5-8، وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص241 .

[7](?) انظر الضوء اللامع للسخاوي 11/140، وتعريف الخلف برجال السلف للحفناوي 1/69-70 .

6. عبد الواحد بن إسماعيل الغرياني المحدث المعمر . [1]

أما طلابه فهم كثير؛ فبحكم مكانته الدينية والعلمية فقد تتلمذ عليه كثير من طلاب العلم؛ فمن أشهرهم :

1. علي بن عباد التستري البكري الفاسي المغربي [880هـ] .[2]
2. أبو العباس أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري [884هـ] صاحب اللامية في العقائد.[3]
3. أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي [895هـ] شارح لامية الذي قبله .[4]
4. أبو الحسن علي بن محمد الأنصاري التلمساني[895هـ] .[5]
5. أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق [899هـ] .[6]
6. أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد العجيسي التلمساني الشهير بابن مرزوق الكفيف [901هـ] .[7]

---

[1] (?) انظر تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي 1/69 .
[2] (?) انظر نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي ص 342 .
[3] (?) انظر شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 265، وتعريف الخلف للحفناوي 1/38-41 .
[4] (?) انظر شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 66، وتعريف الخلف برجال السلف للحفناوي 1/179-189 .
[5] (?) انظر شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 266.
[6] (?) انظر شذرات الذهب لابن العماد 7/363-364 .
[7] (?) انظر نفح الطيب للمقري 5/419-420، ونيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي ص 574 .

7. أبو عبد الله محمد عبد الكريم التلمساني المغيلي [909هـ] .[1]
8. أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي [961هـ] مفتى الجزائر .[2]

[1] (?) انظر نيل الابتهــاج لأحمد بابا التنبكــتي ص576، وتعريف السلف برجال الخلف للحفناوي 1/170-173.

[2] (?) انظر تعريف الخلف برجــال الســلف للحفنــاوي 2/489-490، وأعلام الجزائر لنويهض ص 167 .

مكانته العلمية، وعقيدته ومذهبه الفقهي :

إنَّ أهم ما يُبرز مكانة الثعالبي العلمية ما تركه من تراث في أكثر من فن؛ فقد ألف في التفسير وفي القراءات وفي الحديث وفي العقائد وفي الفقه؛ مع ما يظهر عليه من صدق اللهجة، وحسن التدين، وقد وصفه من ترجموا له بأوصاف تبرز مكانته العلمية وما وهبه الله من وافر الحظ في العلم وتبليغه وتعليمه؛ حيث قال شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المعاصر للثعالبي :"كان إماماً علاَّمة، مصنفاً..."[1] .

وقال عنه تلميذه أحمد زروق:"شيخنا الفقيه الصالح، ديانته أغلب عليه من العلم، كان يتحرَّى في النقل أتم التحري، ولا يستوفيه في بعض المواضع"[2]

وقال عنه أحمد بن بلباه التنبكتي [1036هـ] :"هو ممن اتفق الناس على صلاحه وإمامته، أثنى عليه جماعة من شيوخه بالعلم والدين والصلاح، كالإمام الأُبِّي والولي العراقي، والإمام ابن مرزوق الحفيد"[3] .

أما مذهب الثعالبي الفقهي فهو المذهب المالكي، وهو المذهب المنتشر في البلاد التي عاش فيها

---

[1] (?) الضوء اللامع للسخاوي 4/152 .

[2] (?) الحلل السندسية في الأخبار التونسية لمحمد الوزير السراج 3/628-632 .

[3] (?) نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي ص 258 .

الثعالبي، وكان الثعالبي يروي موطأ مالك بسندٍ بينه وبين مالك تسعة رجال.[1]

وللثعالبي مؤلفات في الفقه المالكي منها: شرحه لمختصر ابن الحاجب في سفرين.[2]

وقد ذكره صاحب نيل الابتهاج أحمد بابا التنبكتي في طبقات المالكية، وكذلك محمد مخلوف في شجرة النور الزكية.

وأما عقيدة الثعالبي؛ فمن الصعوبة بمكان تحديد ذلك، بسبب ما كان سائداً في وقت الثعالبي وبلده من انتشار الأشعرية وغلبتها على العامة وبعض العلماء فالغالب أنه كان مقلداً لمشايخه في ذلك مع ما يصحب ذلك من نزعة نحو التصوف وإيراد بعض ألفاظ الصوفية كما تم التعليق عليها أثناء التحقيق والله أعلم .

---

[1] (?) انظر غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد للثعالبي ص 38-40 .

[2] (?) انظر نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي ص259 .

آثاره ومؤلفاته :

المطبوع من مؤلفات الثعالبي :

1-الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ويقع في عدة أجزاء حسب الطبعات، وقد قال المؤلف في مقدمته :" ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمة من غيره من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأمة، حسبما رأيته أو رويته عن الأثبات، وذلك قريب من مائة تأليف، وما منها تأليفٌ إلا وهو منسوب لإمام مشهورٍ بالدين ومعدود في المحققين، وكل من نقلت عنه من المفسرين شيئاً فمن تأليفه نقلت، وعلى لفظ صاحبه عولت، ولم أنقل شيئاً من ذلك بالمعنى؛ خوفَ الوقوع في الزلل، وإنما هي عباراتٌ وألفاظٌ لمن أعزوها إليه"[1] وقد انتهى الثعالبي من تأليفه سنة 883هـ . وذيَّل الكتاب بقاموس للألفاظ اللغوية الواردة فيه، وسماه المعجم المختصر؛ وقد طبع سنة 1328هـ بالمطبعة الثعالبية بالجزائر .

وقد طبع تفسير الثعالبي خمس طبعات الأولى في أربعة أجزاء بالمطبعة الثعالبية بالجزائر بعناية الشيخ محمد السعيد بن زكري من تاريخ 1323هـ إلى 1327هـ ، والثانية طبعتها المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1985م بتحقيق د.عمار طالبي في خمسة أجزاء ، والثالثة طبعتها دار الكتب العلمية ببيروت سنة 1416هـ 1996م بتحقيق أبي محمد

(?)[1] تفسير الثعالبي الجواهر الحسان 1/3 .

الغماري ، والرابعة طبعتها المكتبة العصرية – صيدا- بيروت سنة 1997هـ بحقيق محمد الفاضلي في ثلاثة أجزاء، والخامسة طبعتها دار إحياء التراث العربي –مؤسسة التاريخ العربي – بيروت لبنان سنة 1418هـ 1997م بحتقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود وشارك في تحقيقه الأستاذ د.عبد الفتاح أبو سِنَّة .

2-المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في قراءة نافع؛ وهو شرح على منظومة عبد الله بن برّي اللغوي المقرئ [ت : 582هـ] وقد طبع بالمطبعة الثعالبية في الجزائر سنة 1324هـ .

3-كتاب المرائي؛ وموضوع الكتاب عدد من المنامات التي رآها الثعالبي وسجلها، وبلغها لطلابه، وفيها دعوة إلى الحذر من الأعداء والحث على الجهاد والاستعداد لمكافحة المغيرين من الكافرين، وهي وصايا من الرسول للشيخ الثعالبي يأمره فيها بتبليغها للمسلمين.[1] وقد طبع عدة طبعاتٍ بالمطبعة الثعالبية في الجزائر، كما طبع ملحقاً بالجواهر الحسان في طبعته الأولى سنة 1323هـ .

4-نبذة من كتاب الجامع الكبير؛ طبع في المطبعة الثعالبية في الجزائر سنة 1339هـ .

5-الأنوار في آيات النبي المختار بدراسة وتحقيق د.محمد الشريف قاهر، دار التراث ودار ابن حزم 1426هـ2005م في ثلاث مجلدات وهي أطروحة للدكتوراه .

---

[1] (?) انظر أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر د.أبي القاسم سعد الله 1/ 208-211 .

6-غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد؛ وهو فهرسة مرويات ومؤلفات الثعالبي ويليها رحلة عبد الرحمن الثعالبي؛ بتحقيق محمد شايب شريف، دار ابن حزم ط الأولى 1426هـ 2005م .
6-كتاب العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة- محل الدارسة والتحقيق- طبع في جزأين بالمطبعة الجميدية بمصر سنة 1317هـ، وهي طبعة خالية من أي شيء يدل على التحقيق .

مؤلفات الثعالبي المخطوطة :

1-روضة الأنوار ونزهة الأخيار؛ وهو كتاب كبير من عدة مجلدات وهو قدر المدونة، فيه لباب نحو من ستين من أمهات الدواوين المعتمدة، بقي في جمعه سنين كثيرة، وهو خزانة كتب لمن حصله .[1] وتوجد نسخة غير كاملة من هذا الكتاب في المكتبة الوطنية في الجزائر برقم 884، وفيه يقول الثعالبي :"فمن حصل كتابي هذا مع كتابي في التفسير المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن؛ فقد حصَّل خزانة من العلم عظيمة لا يقدِّر قدرها، والله الموفق بفضله"[2] .
2-الأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة؛ وهو جزء ضخم ونفيس .[3] وتوجد منه نسخة في المكتبة الوطنية في الجزائر برقم 876 .

---

[1] (?) انظر نيل الابتهــاج بتطريز الــديباج لأحمد بابا التنبكي ص 259 .
[2] (?) من بداية مخطـوط الأنـوار ونزهة الأخيـار للثعـالبي بـرقم 884 .

3-شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي؛ ويقع في سفرين،[1] وتوجد منه نسخة بوزارة الشؤون الدينية الجزائرية تحت رقم 377، وعدد لوحاته 183، مبتورالأول.
4-التقاط الدرر؛ توجد منه نسخة بوزارة الشؤون الدينية الجزائرية برقم 422، وعدد لوحاته 204، وتاريخ نسخه1061هـ .
5-الدرّ الفائق في الأذكار والأدعية والوعظ؛ منه نسخة بوزارة الشؤون الدينية الجزائرية برقم 434، وعدد لوحاته 289، وتاريخ نسخه 1051هـ، وأخرى في المكتبة الوطنية بالجزائر برقم 2780 .
6-جواهر المدونة وعيون مسائلها؛ يقع في سفرين، وفي آخره جامع كبير نحو عشر كراريس من القالب الكبير، فيه فوائد جمة.[2]
7-تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن؛ أو باسم : تحفة الأقران في إعراب القرآن .[3]
8-الذهب الإبريزفي غريب القرآن العزيز.
9-جامع الأمهات في أحكام العبادات؛ وهو كتاب جليل يقع في سفر ضخم.[4]وتوجد منه نسخة في المكتبة الوطنية في الجزائر برقم 583 .

---

[3](?) انظر تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي 2/274.
[1](?) انظر نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي ص 259 .
[2](?) انظر نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي ص 259 .
[3](?) انظر نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي ص 259، و شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد مخلوف ص 264-265 .
[4](?) انظر المرجع السابق .

10-جامع الهمم في أخبار الأمم؛ وهو كتاب في التاريخ يقع في سفرين ضخمين.[1]
11-الإرشاد في مصالح العباد.[2]
12-إرشاد السالك . وهو من أصغر كتب الثعالبي جرماً.[3]
13-رياض الصالحين، وتوجد منه نسخة في المكتبة الوطنية بالجزائر برقم 883، وصورة من المخطوط في مكتبة جامعة الإمام في المكتبة المركزية قسم المخطوطات برقم 7468/خ باسم رياض الصالحين وتحفة المتقين.
14-نور الأنوار ومصباح الظلام .[4]
15-العقد النفيس .
16-جامع الخيرات .
17-جامع الفوائد.
18-شرح على مختصر خليل بن إسحاق .[5]
19- كتاب النصائح، وهو من آخر كتب الثعالبي تأليفاً .[6]
20-الأربعون حديثاً مختارة .[7]

---

[1] (?) انظر تاريخ الجزائر العام للجيلالي 2/274 .
[2] (?) انظر نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي ص 260 .
[3] (?) انظر التحفة البكداشـــية في بلاد الجزائرالمحمية لمحمد بن ميمون الجزائري، المحلق الثالث:ص342. ويُـذكر أنه توجد نسخة بالزاوية العثمانية بطولقة جنـوب الجزائـر، وأن موضـوع الكتـاب في التصـوف. كما أشـار إلى ذلك محقق غنيمة الوافد الأستاذ محمد شايب شريف ص 29.
[4] (?) المصدر السابق .
[5] (?) المصدر السابق .
[6] (?) انظر غنيمة الوافد ص 30 .
[7] (?) انظر نيل الابتهاج لأحمد بابا التنكتي ص 259 .

21-قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصديقين. [8]
وقد ألف الثعالبي فهرساً لمؤلفاته يعد هو المرجع الصحيح لمؤلفاته وسماه غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد مفهرساً مروياته ومؤلفاته؛ وقد حققه الأستاذ محمد شليب شريف كما سبق في ذكر مؤلفات الثعالبي المطبوعة .

---

[8](?) وتوجد منه نسـخة في قسم المخطوطـات بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم 2775/خ .

الفصل الثاني :التعريف بالكتاب ، وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول :التعريف بالكتاب ونسبته إلى مؤلفه ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تحقيق اسم الكتاب :

كل النسخ المخطوطة جاءت بتسمية الكتاب بالعلوم الفـاخرة في النظر في أمـور الآخـرة وكـذلك النسـخة المطبوعة في المطبعة الحميدية عام 1317هـ.

وقد ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب بأنه سمى الكتاب بالعلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة[1] وقد نص على تسمية الكتاب بهذا الاسم عدد ممن اعتنوا بجمع أسماء كتب التراث ومن ترجم للثعالبي .

وقد نص الثعالبي على هذه التسمية في أثناء سرده لأسماء مؤلفاته في غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد فقال:"وكتابنا المسمى بالعلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة"[2].

---

[1](?) الصفحة الأولى من المخطوط(أ).

[2](?) غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد للثعالبي ص28 .

المطلب الثاني : نسبة الكتاب إلى مؤلفه :

الدلائل على نسبة الكتاب إلى الثعالبي متوافرة فإن بعض من ترجموا للثعالبي ينصون على أن العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة هو من تأليف الثعالبي[1]وكذلك كل النسخ المتوفرة تؤكد ذلك سواء في بدايتها وكذلك عند نهايتها؛ حيث يختم المؤلف ويسمي الكتاب مع نسبته إلى نفسه.[2]

قال حاجي خليفة:" العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة لعبد الرحمن بن محمد الثعالبي الجزائرى المتوفى سنة ستٍ وسبعين وثمانمائة(876هـ) وهو مجلد ضخم كالتذكرة للقرطبى أوله الحمد لله المتفرد بالبقاء الدائم الخ"[3].

---

[1](?) انظر نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي ص 173-175، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد مخلوف ص 264-265، وانظر غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد للثعالبي ص28، وثبت أبي جعفر الوادي آشي ص550، وكشف الظنون لحاجي خليفة 2/1163 .

[2](?) انظر النسخة (أ)، ورقة 182/ب .

[3](?) كشف الظنون لحاجي خليفة 2/1163 .

المطلب الثالث : موضوع الكتاب :

صرح المؤلف بموضوع الكتاب في بدايته حيث ذكر أنه ألفه في ذكر الموت وما بعده من أمر الآخرة على نسق تأليف من تقدمه من العلماء كالقرطبي والغزالي وعبد الحق الإشبيلي .[1]

كما أن موضوع الكتاب ظاهر من عنوانه؛ بأنه في أمور الآخرة؛ من أحوال القيامة والبعث والحوض والميزان والحساب والصراط والجنة النار، ولكن المؤلف لم يقتصر على ذكر أمور الآخرة بل زاد على ذلك؛ حيث تكلم عن الموت ومقدماته وما يجب أن يكون عليه المسلم من الاستعداد له بالعمل وحسن الظن بالله وما يكون في هذا المقام من وعظ وتذكير، مع ذكر بعض ما يعرض من مسائل في هذا الباب.

---

[1] (?) الصفحة الأولى من المخطوط (أ) .

المبحث الثاني : مصادر المؤلف في كتابه ومنهجه فيه ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مصادر المؤلف في الكتاب :

استقى الثعالبي مادة كتابه العلوم الفاخرة من مصادر كثيرة تدل على سعة اطلاعه وغـنى مكتبته بـالكتب في فنون متنوعة، وإن مما يثري الكتـاب نقـول المؤلف فيه من كتب قد تعد من الكتب المفقودة حاليـاً أو يُظن أنها مفقودة .

والمصادر التي اسـتفاد منها الثعـالبي في كتابه ونص عليها هي :

1. الإبانة للوائلي.
2. أحكام القرآن لابن العربي.
3. إحياء علوم الدين للغزالي.
4. الاختيار في الملح من الأخبار للميانشي.
5. الأربعين الودعانية للقاضي أبي نصر بن ودعان.
6. الاستذكار لابن عبد البر.
7. الأسـماء والصـفات لأبي بكر أحمد بن الحسـين البيهقي.
8. اعتقاد أهل السنة للالكائي.
9. أعلام الحديث في شـرح صـحيح البخـاري للإمـام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي
10. الإعلام بفضل الله على عباده للفقيه المحـدث أبي عبد الله محمد بن قاسم بن علي الجذامي.
11. الإفصاح لشبيب بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة.
12. إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض.
13. الأنوار في معجزات النبي المختار للثعالبي.

14. الآيات والمعجزات لابن القطان.
15. بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار للكلاباذي البخاري.
16. بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس لابن عبد البر.
17. بهجة النفوس وتحليتها لابن أبي جمرة.
18. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة لأبي الوليد ابن رشد القرطبي، وضمنه المستخرجة من الأسمعة المعروفة بالعتبية لمحمد العتبي القرطبي.
19. تاريخ المسعودي.
20. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
21. تأليف الشيخ الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسين الطبري في الكرامات.
22. التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري.
23. التحبير في التذكير للقشيري.
24. التحبير للقشيري.
25. التحف والطرف للقاضي أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقَّري
26. التذكرة في أحول الموتى وأمور الآخرة للقرطبي.
27. التشوف إلى رجال التصوف ليوسف بن يحيى التادلي.
28. التشوف للمحاسبي.
29. تفسير ابن أبي زمنين.
30. تفسير ابن عطية.
31. تفسير أبي حيان.
32. تفسير الثعلبي .
33. تفسير الداودي.
34. تفسير السمرقندي.

35. تفسير الطبري.
36. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي.
37. تفسير المهدوي.
38. التمهيد لابن عبد البر.
39. تنبيه الغافلين للسمرقندي.
40. التنـــوير في إســـقاط التـــدبير لابن عطـــاء الله السكندري.
41. تهذيب الآثار للطبري.
42. توبيخ النفس للمحاسبي.
43. التوحيد لابن منده.
44. التوهم للحارث المحاسبي.
45. جامع الترمذي.
46. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.
47. جمهــرة اللغة لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري.
48. حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا.
49. الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين.
50. الحلية لأبي نعيم.
51. الدرة الفاخرة في علوم الآخرة للغزالي.
52. الديباج للختلي.
53. رسالة الشيخ الصــالح أبي عبد الله محمد بن مالك الأنطاكي.
54. الروض الأنف للسهيلي.
55. روضة الحقــائق المنســوب للفقيه أبي عبد الله بن الخلال.
56. روضة المشـــتاق والطريق إلى الملك الخلاق لابن الجوزي.
57. رياضة المتعلمين لأبي نعيم.
58. الزبور.

59. الزهد لابن المبارك.
60. الزهد لهناد بن السري.
61. السابق واللاحق للخطيب.
62. سراج المريدين لابن العربي.
63. سلاح المؤمن للشيخ أبي الفتح محمد بن علي بن همام.
64. سلوة الأحزان لابن الجوزي.
65. سنن ابن ماجه.
66. سنن أبي داود.
67. سنن النسائي.
68. سيرة ابن إسحاق.
69. شرح الأحكام الصغرى لعبد الحق والكتاب لأبي محمد بن بزيزة.
70. شرح حرز الأماني لمحمد بن محمد بن داود الصنهاجي.
71. شعب الإيمان لعبد الجليل القصري القرطبي.
72. الشفا للقاضي عياض.
73. شفاء الصدور تأليف الفقيه المشاور أبي محمد عبد الرحمن بن عتاب.
74. الصحاح للجوهري.
75. صحيح ابن حبان.
76. صحيح البخاري.
77. صحيح مسلم.
78. صفوة الصفوة لابن الجوزي.
79. عارضة الأحوذي لابن العربي.
80. العاقبة لعبد الحق الإشبيلي .
81. العزلة للغزالي.
82. علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية.
83. عنوان الدراية للغبريني.

84. عيــون الأخبــار لأبي محمد عبد الله بن مســلم بن قتيبة.
85. غريب الحديث لابن قتيبة.
86. الغريــبين ي القــرآن والحــديث تصــنيف أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي
87. الفائق في اللفظ الرائق من حــديث رســول الله تأليف القاضي أبي القاسم التنيسي.
88. الفريابي يظهر أنه في كتاب القدر.
89. الفوائد المنتخبة العـــوالي عن الشـــيوخ الثقـــات، المعروفة بالغيلانيــات، تــأليف أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبــراهيم الشــافعي، بتخــريج أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني.
90. الفوائد للقاضي أبي الحسن ابن صخر.
91. القعد الفريد : اليتيمة لابن عبدربه.
92. قواعد العقائد للغزالي.
93. قوت القلوب لأبي طالب المكي.
94. كتاب الآيات لابن أبي الدنيا.
95. كتاب القربة لابن بشكوال.
96. كتاب الكنى لأبي أحمد الحاكم نقلاً عن عبد الحق.
97. كتاب المعجم لأبي سعيد الأعرابي.
98. كتاب شاكر بن مسلم.
99. كتاب يمن بن رزق الزاهد .
100. الكلم الفارقية والحكم الحقيقية لأبي عبد الله الفارقي.
101. الكــوكب الــدري المســتخرج من كلام النــبي العــربي الــذي جمعه الشــيخ الإمــام أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي الأقليشي.
102. لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري.

103. مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي.
104. المجيد في إعراب القرآن المجيد للصفاقسي.
105. مختصر العين لأبي بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي الأندلسي.
106. مختصر تفسير الطبري.
107. المدارك لعياض.
108. المدخل لابن الحاج.
109. المدونة لسحنون.
110. المرقبة لابن رشد.
111. المستدرك للحاكم.
112. مسند ابن أبي شيبة.
113. مسند أحمد.
114. مسند البزار.
115. مسند الحارث بن أبي أسامة.
116. مسند الدارمي.
117. مسند الشحامي.
118. مسند الفردوس للديلمي.
119. المسند المنتخب لعلي بن عبد العزيز البغوي.
120. مسند النجاد.
121. مسند بقي بن مخلد.
122. مسند خيثمة بن سليمان.
123. مسند عبد بن حميد.
124. مصنف ابن أبي شيبة.
125. مطالع الأهلة ليحيى بن محمد.
126. المعجم الأوسط للطبراني .
127. المعجم الصغير للطبراني.
128. المعجم الكبير للطبراني .

129. المعلم بفوائد مسـلم لأبي عبد الله بن محمد بن علي بن عمر المَازري.
130. المفهم لما أشـكل من تلخيص كتـاب مسـلم تأليف الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبـراهيم القرطبي.
131. مكارم الأخلاق للخرائطي.
132. مكارم الأخلاق للطبراني.
133. منهاج العابدين للغزالي.
134. المنهاج للحليمي.
135. المنهج المـبين في شـرح الأربعين لابن الفاكهاني.
136. موطأ مالك.
137. الناسخ والمنسوخ لابن شاهين.
138. الناسخ والمنسوخ لهبة الله المقري.
139. النـامي لأبي جعفر الـداودي وهو شـرح موطأ مالك.
140. نزهة الأسرار ولوامع الأنوار في فضل الصـلاة على النبي المختار .
141. النصيحة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري.
142. نوادر الأصول للحكيم الترمذي.
143. الهداية لمكي.

المطلب الثاني : منهج المؤلف في الكتاب:

يمكن إبراز منهج المؤلف الذي سلكه في تأليف كتابه العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة في أربعة أمور:

أولاً : التقسيم والترتيب والتبويب وإيراد الآيات والأحاديث والآثار وكلام أهل العلم :

1- قسم المؤلف الكتاب إلى أبواب وفصول، بلغ عدد أبوابه مائة وسبعة وعشرين باباً؛ قسَّم الطويلة منها إلى فصول تزيد وتنقص بحسب طول الباب وقصره.

2- كثيراً ما يبتدأ المؤلف الباب أو الفصل بذكر الآيات ثم الأحاديث ثم الآثار والأقوال المأثورة عن أهل العلم، فتجده يقول: (وسأذكر -إن شاء الله تعالى- ما أمكنني ذكره من الآثار الصحيحة والغريبة والحسان، وما جاء في ذلك من أنوار السنة والقرآن، وما نقله المفسرون والعلماء الراسخون، وأولياء الله العارفون)[1].

3- سار المؤلف عند ذكر آيات الجنة والنار على طريقته في تفسيره الجواهر الحسان فجعل تفسير ابن عطية هو الأصل ثم يزيد وينقص ويتصرف بعد ذلك بتأييدٍ أو نقد؛ يقول:(قلت : ليس فيما ذكر الطبري تكلفاً ولا تعسفاً، بل ذكر ما ورد من الحديث على وجه يجوز، ولم يدع الحصر، وإنما ذكر ما ذكر تأنيساً للنفوس، وبسطاً للرجاء، وتنشيطاً للعمل المبلغ إلى هذه الخيرات، وقد اتفق أئمة الحديث على جواز نقل الأحاديث الضعيفة في باب الترغيب والترهيب، الذي نحن الآن بسبيله، نعم إذا كان الحديث موضوعاً فلا يذكر،والطبري فارس علم الحديث، وناهيك باعتراف

---

[1](?) انظر النسخة (أ) ورقة 157/أ .

الحفاظ له، كأبي بكر بن الخطيب وغيره، نعم من الناس من يغلب عليه رقة القلب، والشوق إلى التطلع على علوم الآخرة، فهو يكثر مما يناسب حاله، ونعم الزاد للمعاد ذكر أحاديث النبي)[1].
4- التكرار؛ فالمؤلف يكرر إذا رأى أن في تكراره فائدة، غالباً ما يحيل إلى الموضع الأول أو أن يختصر في الموضع الثاني، يقول: (وقد قدمنا من هذا الباب جملة صالحة في باب ذكر الموت، وأنا أذكر الآن ما لم يتقدم له ذكر من ذلك غالباً، وربما أعدت الحديث لزيادة معنى وحصول فائدة) [2].

ثانياً : النقد والمناقشة والترجيح :

1- يورد المؤلف بعض الأقوال في بعض المسائل ويختار الراجح منها، أو يكتفي بذكر الصحيح في بعض الأحيان. [3]
2- إذا كان الحديث شديد الضعف فإن المؤلف أحياناً ينقده : (قلت : ذكر القرطبي هذا الحديث ولم يذكر في سنده مطعناً، والله أعلم بصحته.وقد ذكر بعض المحدثين إن أكثر أحاديث الخضراوات ضعيفة) [4].بالإضافة إلى أنه يسند بعض الأحاديث إلى نفسه عن أشياخه .[5]

---

[1](?) انظر على سبيل المثال: النسخة (أ) ورقة 142/ب .
[2](?) انظر النسخة (أ) ورقة 25/ب-26/أ .
[3](?) انظر النسخة (أ) ورقة 145/أ .
[4](?) انظر النسخة (أ) ورقة 170/أ .
[5](?) انظر النسخة (أ) ورقة 14/أ .

ثالثاً : الأمانة العلمية :

1-التزم المؤلف العزو إلى من ينقل عنه؛ حيث يقول:" وها أنا أستدرك إن شاء الله تعالى بعض أحاديث الرجاء المقوية لحسن الظن بالله سبحانه معزوة لمخرجيها؛ لأني أميل إلى العزو إذ به يثلج الصدر، وبه تنشرح الصدور، ويستولي عليها الضياء والنور"[1].

2-غالب العزو يكون بذكر بنسبة الكتاب إلى صاحبه بل ويعرف بصاحب الكتاب إن لم يكن معروفاً كما فعل عندما نقل من كتاب شاكر بن مسلم فعرف بالكتاب ومؤلفه .[2]

3- ينقل المؤلف من كتب تعد مفقودة، ومع ذلك يعزو إليها، لكنه وقع – رحمه الله- في أمر يعد في عصرنا معيباً وهو النقل من ناقل ، كما يصنع عندما ينقل من كتاب القرطبي أقوال لأناس آخرين؛ ثم يعزوها إلى القرطبي ، أو يتبين ذلك عندما ينقل نفس الخطأ عن الكتاب السابق له.[3]

---

[1] (?) العلوم الفاخرة للثعالبي النسخة (أ) ورقة 12/ب .

[2] (?) يقول الثعالبي :" ومن تأليف الفقيه شاكر بن مسلم الأوريولي؛ وهو من أئمة الأندلس، ذكر في كتابه هذا حكاية أنه رأى النجم الذي له ذنب في عام تسعة وأربعمائة فعلمت أنه في عصر الغزالي ونظرائه، ولقد أحسن في كتابه هذا، وأكثر أحاديثه ينقلها بالمعنى على طريق المحاسبي في كتاب التوهم، وإنما عرَّفتُ به لأني عزمت على نقل ما استحسنته من كلامه، فيكون نقلاً عن معلوم لا مجهول" العلوم الفاخرة للثعالبي النسخة (أ) ورقة 29/ب .

[3] (?) يظهر ذلك جلياً في النقل من كتاب روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق لابن الجوزي في مواضع من

رابعاً: الأسلوب الوعظي واسترقاق القلوب بتدبر ما يورده من آيات وأحاديث وآثار:

يعمد المؤلف في نهاية كل باب أو فصل وأحياناً بعد إيراد آيات وأحاديث الوعد والوعيد، إلى الوعظ والتذكير بالله لربط القارئ بما أورده المؤلف من آيات وأحاديث وكلام لأهل العلم وذلك بالدعاء وسؤال الله الفوز بوعده والنجاة من وعيده .[1]

خامساً :كثرة الاستشهاد والنقول والاستطراد :

1- وفرة المصادر في الكتاب ، وذلك لغنى مكتبة الثعالبي بأنواع الكتب في شتى الفنون، فتجده تارة ينقل من كتب التفسير؛ وتارة من كتب الحديث؛ وتارة من كتب الوعظ ؛وأخرى من كتب الملل الأخرى؛ كما نقل من الكتاب الذي يقال أنه الزبور في موضع متعددة، وهذا المنهج قد أثرى الكتاب وجعل له انتشاراً واسعاً بين الناس في وقت الثعالبي ومن بعده فلا تكاد تجد مكتبة إلا ويوجد فيها هذا الكتاب وكثرة نسخ الكتاب برهان على ذلك .
2- يستطرد المؤلف في كثير من المواضع؛ وذلك بكثرة إيراد الأحاديث والآثار وكلام أهل العلم خصوصاً عند نقله عن الحارث المحاسبي والغزالي وشاكر بن مسلم فإنه يطيل فينقل بالصفحات .
3- كثرة النقل عمن سبقوه من العلماء، وقد نص المؤلف في بداية الكتاب أنه شرع في التأليف في موضوع اليوم الآخر معتمداً على كلام الأئمة من قبله

الكتاب وقد نسبه القرطبي إلى –الجوزي- ونقل الخطأ نفسه الثعالبي فنسبه إلى الجوزي من غير ذكر كلمة " ابن" .
[1](?) وهذا يكثر من المؤلف في ختام كل باب أو فصل .

الذين ألفوا في هذا الموضوع كالغزالي والقرطبي وعبد الحق الإشبيلي ناقلاً كلامهم وكلام غيرهم.[1]

[1] (?) انظرالعلوم الفاخرة للثعالبي النسخة (أ)، ورقة 1/ب .

المبحث الثالث : وصف النسخ الخطية :

فقد عرضت أنا وزميلي في التحقيق على القسم ست نسخ تــوفرت وقت تســجيلنا، وبعد متابعة البحث ومضـاعفة التقصي والتمحيص تحصل لنا أن للمخطـوط أكــثر من خمس وثلاثين نســخة مفرقة بين الســعودية وتـــونس والجزائر والمغـــرب وموريتانيا ومـــالي، وبعد تطبيق المنهج المتبع في اختيار النسخ من حيث:

1. نسخة المؤلف، ولم نقف لها على أثر.
2. الأقدمية، فالمعتمدة (الأم) نسخت في زمان المؤلف و ذلك قبل وفاته بتسع عشــــرة ســــنة، وبعد تأليفه للكتاب بسبع سنين، ثم التي تليها والتي تليها .
3. الكمـــال والســـلامة، وجميع ما تم اختيـــاره هو تـــام وسالم مما ينقصه أو يضعف الفائدة منه.

ثم قع الاختيــــار على أربع نســــخ، اعتمــــدنا الأولى- المعتمدة، الأم- وقابلنها على ثلاثة أخرى :

النسخ المعتمدة في التحقيق :
الأولى : (أ) (المعتمــدة) وهي في المغــرب- دار الكتب الناصرية بتمكروت برقم (304) نسخة تامة مصـححة كتبت بخط أندلسي حسن في ضـحى الجمعة الخـامس من شــهر ربيع الأول ســنة 857هــ واسم الناسخ : عبد الرحمن بن موسى الحبنوني ، كتب في الحاشـية صـحح من الأصل ،تقع في 182 ورقة ، مقيــــاس 27.5×21 سم ، مسطرة 30س ، بها تعقيبة وآثار الرطوبة وتقاييد في الأول وفي الأخير تحبيس هذا نصـه:"الحمد لله هـذا السـفر لسـيدي عبد الـرحمن الثعـالبي حبسه الفقـراء الناصريون على الشيخ سيدي محمد بن ناصر الدرعي ، وسيدي الحسن اليوسي المعروف ... بقصد القـراءة ... عام تسعة عشر ومائة وألف هجرية".

الثانية : (ب) وهي في المغـرب-الخزانة العامة : إقليم بني ملال : نسخت سنة 919هــ بــرقم (12885) وعــــــدد أوراقها (220) واسم الناسخ : أبو القاسم بن محمد بن محمد بن إبـــراهيم بن عبدالســلام الأندلسي الأســدي .وهي نســخة تامة كتبت بخط أندلسي جميل ملون، وكـان الفـراغ من نسـخها في 19 من ربيع الأول ســنة 919هــ وبها تعقيبة وأثر رطوبة وهي ســالمة من الخروم .

الثالثة : (ج) و هي في المغرب – الخزانة الملكية في الرباط (اشترتها الخزانة الملكية بالربـاط من خزانة تنغلمت بـني ملال) بــرقم (13037) نسـخت في آخر جمادى الأولى عام 996هـ ، وهي نسخة تامة مصـححة كتبت بخط أندلسي حسن مع اســتعمال اللــون الأحمر للعنـاوين،بها تعقيبة وتقييد في الأخـير، وهي سـالمة من الخـروم نسـخها : عبـدالعزيز بن شـعيب بن يحـيى بن

إبـراهيم الكنسوسي ، كتبها لصـديقه السـيد: محمد بن أحمد التلمساني ، تقع في (223) ورقة .

الرابعة : (د) وهي في المغرب -دار الكتب الناصرية بتمكـروت بـرقم (888) نسـخة تامة مصـححة ومقابلة كتبت بخط مغـــــــــربي وسط بيد محمد بن أحمد بن عبـدالرحمن ابن محمد بن حسـين يـوم الخميس أوائل جمـــادى الأولى عـــام 998هـــ ، تقع في 211 ورقة ، مقيـاس 29.5×20سم ، مسـطرة 29 س ، بها تعقيبة وأثر الرطوبة وتقاييد في الأول والأخير وهي سالمة من الخـروم . وعليها كـان الاعتمـاد في النسـخة المطبوعة في المطبعة الحميدية عام 1317هـ .

وبعد اختيـار أربع نسـخ؛ اعتمـدت طريقة النسـخة المعتمـــدة فأجعلها أصـــلاً ثم أثبت الفـــروق بينها وبين النسخ الأخــــرى في الهــــامش مع تعــــديل الخطأ بين معقوفتين في الأصل وجعل ما سوى ذلك في الحاشــية من توثيق وتخريج وتعليق وفروق وغير ذلك .

~~وقابلتها على ثلاثة أخـــرى؛ بعد التحقق بأنه لم تكن إحدى هذه النسخ منقولة من الأخرى، وأثبت الفـــروق بينهــا، ورجعت لبعض النسخ الأخـــرى عند استعصـــاء قراءة بعض الكلمات .~~

النسخ الأخرى

1. وهي في تركيا بمكتبة كوبرلي بـرقم (748) ويوجد منها نسـخة على ميكـروفيلم في مركز الملك فيصل بـــــــرقم (2335/ا ف) واسم الناسخ : محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي بكر شراحيل أتم نسخها يـوم الأربعـاء التاسع عشر من ذي الحجة سـنة ألف من الهجـرة في المدينة المنـورة وعليها تملك محمد المــالكي ، وعـــدد أوراقها (266) والقسم الــذي سـأقوم بتحقيقه ودراسـته يبـدأ من منتصف الورقة (137) إلى نهاية النسخة .
2. وهي في إيرلنـــدا في شســـتربتي بـــدبلن ، وهي موجــودة على ميكــروفيلم في قسم المخطوطــات بجامعة الإمـــام بـــرقم (4414ف) واسم الناسخ : الحاج على بن أحمد الطرابلسي وقد فرغ من نسخها يوم الثلاثاء وقت الضـحى في أول شـهر رجب سـنة 1086من الهجرة عليها تملك لعبد الـرحمن بن محمد وقد وقفها للتعليم ، وعدد أوراقها (226) .
3. وهي في مركز الملك فيصل بــــرقم (12765/2) وتبدأ من الورقة العاشرة ، واسم الناسخ: عبدالواسع بن عبد الله بن عبد العزيز الموسى وقد فـــــرغ من نسـخها عند الاصـفرار يـوم الثلاثـاء الرابع والعشـرين من محـرم سـنة 1146من الهجـرة ، وعـدد أوراقها (240) .:
4. وهي لدار أمية للنشر والتوزيع برقم (18)ـ ، وهي على ميكـــروفيلم في قسم المخطوطـــات بجامعة الإمام بـرقم (7471)ـ ، واسم الناسخ : بالقاسم بن مبارك المرداسي ، فرغ من نسـخها يـوم الاثـنين من شـهر ذي القعـدة سـنة 1274 من الهجـرة ، وعـدد أوراقها (148) .

5. نســـختان في مكتبة الملك فهد الوطنية بـــرقم (208/1) ورقم(257/4) وليس عليهما اسم ناسخ ولا تــاريخ نسخ وعــدد أوراقها الأولى منهما (245)ورقة وهي ناقصة ســبع ورقــات من أولهــا. والثانية (261) ورقة وهي ناقصة خمس ورقـــات من أولها ، ضـــمن مجموعة مكتبة جميل أبو ســليمان في مكة المكرمة ،وجميع هذه النسخ كتبت بخط مغـربي في بعض منها خرم وسقط .
6. الجزائر - المكتبة الوطنية وهي برقم حفظ 850 المعلومات عن المخطوطة كتبت بلغة فرنسية يحتمل أنه كتب سنة 876هـ ؟ حيث أُشير إلى ذلك في آخر المجلد الأول في صفحة (320) وهي بثلاثة خطوط متغايرة وعدد أوراقها (310) وآخرها ليس بحالة جيدة ...وأتبعت هذه النسخة في الفهرس بنسخة(851) يحتمل أنها لنفس الكتاب أو هي شبيهة بها ويحتمل أن تكون بخط المؤلف وذُكر في الحاشية في صفحة (204) أنه انتهى منها مقابلة سنة 847هـ مع نسخة المؤلف ، وليست مرتبة الفصول وأغلبها مختصر جداً وفيه نقص ، وفي آخرها فصل ناقص البداية وهو مضاف على الكتاب وفيه سرد لسير علماء وقضاة المالكية ، وقد أطال فيها الثعالبي الحديث عن نفسه ، ويُشكل على هذا أن هذا البيان جاء بلغة فرنسية فلعل الوهم من الناسخ أو المفهرس أو أنها نسخة ملفقة أو مجموع تصدره بعض نسخة العلوم الفاخرة ، فالمؤلف –رحمه الله – يقول في بداية المخطوط : "وابتدأت جمعه وتأليفه في أوائل ذي القعدة من سنة تسع وأربعين وثمانمائة

جعله الله عملاً خالصاً لوجهه ومبلغاً إلى مرضاته "[1].مما يبرهن أنها ليست نسخة المؤلف .

7. الجزائر –المكتبة الوطنية – نسـختان الأولى ضـمن مجموع برقم (3293)و(3294) من غـير تـاريخ نسخ ولا اسم ناسخ ، والثانية بـرقم (2790)مثل الأولى ضمن مجموع من غير تاريخ نسخ ولا اسم الناسخ .
8. الجزائر –المكتبة القاسـمية في زاوية الهامل بـرقم (46.ص ، 47.ص)نسـخت سـنة 1172هـ ووعـدد أوراقها (295) بخط مغـربي ينقص من أولها خمس ورقات تقريباً.
9. الجزائر – الجـامع الكبـير ، وفيه ثلاث نسخ الأولى بـرقم (99) واسم الناسـخ: محمد ابن مصـطفى الاستانكوبي ، نسـخت سـنة 1113هـ بخط مشـرقي جميل وعليه حواشي جانبيه وتحـبيس للشـريف على حجة الحق ، والثانية بـرقم (101-102) نسـخت في شـعبان سـنة 1102هـ وهي بخط مغـربي مشـكول وعـدد أوراقها (234) وعليه تملك لمحمد بن محمد الصـباغ ، وحالتها رثة ، وهي عبـارة عن المخطوطة مقسـمة إلى جـزئين ، والثالثة بـرقم (100) نسـخت في المحـرم من سـنة 958هـ وعـدد أوراقها (217) وهي نسـخة سـيئة جـداً تبـدأ من صـفحة أربعة من الكتاب المطبوع ومن صفحة (16) إلى (32) ملطخة بالحبر ، وصفحة 187 بيضاء وبـاقي الكتـاب في حالة جيـدة ... وهـذه النسـخة قـوبلت على نسـخة مقابلة على نسـخة المؤلف .علمـاً أن هـذه النسخ غـير موجـودة في المكـان المشـار إليه بل هي مفقـودة حالياً وذلك بعد أن فهرست .

---

[1](?) الصفحة الأولى من المخطوط(أ) .

10. الجزائر – فهـرس عبد الغـني أحمد بيـوض بـرقم (2266) (كتب الفهرس بخط اليد).
11. الرياض – جامعة الملك سعود برقم (7087) وعدد أرواقها (202) بخط أندلسي ،وهو عبـارة عن الجـزء الثاني من الكتاب .
12. المغـرب-دار الكتب الناصـرية بتمكـروت بـرقم (554) بخط مغربي مبتور الأول.
13. المغـرب-دار الكتب الناصـرية بتمكـروت بـرقم (803) بخط مغربي .
14. المغـرب-دار الكتب الناصـرية بتمكـروت بـرقم (849) بخط مغربي لا بأس به .
15. المغرب – الخزانات الحبسـية : بـرقم (480) جعل لها عنـوان : العلـوم الناضـرة في النظر في أحـوال الآخرة للثعالبي بخط مغربي بسـيط ، نسـخت أواخر ذي الحجة عام 1144هـ .
16. المغرب – الخزانات الحبسية برقم (499)جعل لها العنوان صحيحاً : العلوم الفاخرة ... لمؤلف مجهـول ، مبتور الأول ، بخط مغربي لا بـأس به نسـخت عـام 1003هـ وناسخها : محمد البرجير الحسناوي .
17. المغـرب – الخزانـات الحبسـية : نظـارة تطـوان ، بـرقم (918) النصف الأول منها ، وحـال المخطوطة متوسط به أثر الأرضة .
18. المغرب – الخزانات الحبسية : الرشيدية : بـرقم (839) جزء واحد بخط مغربي وحالتها جيدة .
19. المغرب –خزانة تطوان : برقم (34) بخط مغـربي وعدد أوراقها (258) .
20. المغرب – مؤسسة علال الفاسي بـرقم (2068ع 542) واسم الناسـخ: عبـدالقادر العـدلوني ، نسـخت سـنة 1099هــ ، وعـدد أوراقها (174) بخط مغـربي

دون الوسط ، وهي تبدأ من بداية الجزء الثاني من الكتاب بباب ما ينجي من أهوال يوم القيامة .

21. المغرب – مؤسسة علال الفاسي برقم (2069ع 542) واسم الناسخ: ج1 : أحمد بن سعيد بن محمد و ج2 : عمر بن محمد الزنبي ، نسخت ج1: سنة 1210هـ و نسخت ج2:ـ 1211هـ وعدد أوراقها (326) كتبت ج1: بخط مغربي وسط و ج2: بخط مغربي لا بأس به ، وهي نسخة تامة .
22. المغرب / سلا : الخزانة الصبيحية برقم 33 نسخت سنة 1132هـ عدد الأوراق 248 مختلف المسطرة واسم الناسخ: أحمد بن عبد الله الأوزالي ، كتبها لابن عمه سعيد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ، بخط مغربي مجوهر ملون قليلاً ، بعده نقول مختلفة بخطوط متغايرة .
23. المغرب / الرباط : الخزانة العامة رقم (1152د) بخط مغربي جميل وعدد أوراقه (243) .
24. المغرب-مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية برقم (128) نسخت سنة 1128هـ واسم الناسخ : محمد بن محمد بن علي السرغيني ، وعدد أوراقها (298) بخط مغربي .
25. موريتانيا- شنقيط ووادان برقم 204أ، ش وعدد أوراقها (215) بخط مغربي ، ناقصة الآخر.
26. مالي – مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية (بتنبكتو) برقم (3871) واسم الناسخ: محمد بن الفقيه الطاهر السوقي ، بخط صحراوي وعدد أوراقها (238) .
27. تونس - دار الكتب الوطنية برقم (3334) نسخت سنة 1091هـ واسم الناسخ :يوسف بن

عبدالله السعيد ، عـدد أوراقها (304) بخط مغـربي ، مبتورة من أولها وآخرها .

28. تــونس –دار الكتب الوطنية بــرقم (3353) نسخ سنة 1269هـ وعدد أوراقها (186) بخط مغربي .

29. تــونس –دار الكتب الوطنية بــرقم (3376) نسخ ســنة 1290هــ واسم الناســخ: علي بن أحمد بوذينة التستوري ،و عدد أوراقها (172) بخط مغربي .

30. تــونس –دار الكتب الوطنية بــرقم (5163) وعــدد أوراقها (191) بخط مغربي.

المبحث الرابع : قيمة الكتاب العلمية :

تبرز قيمة الكتاب العلمية بالآتي :

أولاً : أن هذا الكتاب يتعلق بأصل من أصول الإيمان الستة التي هي أصول العقيدة الإسلامية ؛ وهو الإيمان باليوم الآخر .

ثانياً : المادة العلمية الموجودة في هذا الكتاب من نقول لأهل العلم السابقين لزمن المؤلف ، وتنوع المصادر والتي يعد بعضها من المفقود.

ثالثاً : إفادة المؤلف ممن سبقوه من أهل العلم كالغزالي والإشبيلي والقرطبي   ومحاولته الجمع والترجيح .

رابعاً : اختيارات المؤلف الخاصة به في كثير من المسائل؛ مما يثري موضوع الكتاب .

خامساً:ومما يزيد من قيمة الكتاب أن المؤلف توسع في الاستدلال لما يورده بالقرآن والسنة، بالإضافة إلى أنه حاول أن يجمع محاسن من ألفوا في هذا الموضوع كالغزالي والإشبيلي والقرطبي وغيرهم .

سادساً: أن القراءة في هذا الكتاب مما يزيد في الإيمان، لأن المؤلف غالباً ما يختم الأبواب والفصول بشيء من التذكير وسؤال الله بالإضافة إلى ما يورده من رقائق.

سابعاً: يأبى الله الكمال إلا لكتابه، والإنسان مهما بلغ من العلم فإنه معرض للخطأ والزلل، والأمانة العلمية تقتضي بيان ذلك؛ فالمؤلف –رحمه الله – جنح عن عقيدة أهل السنة والجماعة في مواضع متعددة من كتابه، ومنها ما جاء في القسم الذي أقوم بتحقيقه : من

تأويل صفة الضحك لله بأنه إظهار الرضى والقبـول[1]، وكذلك تأويل صفة السـاق لله [2] وإنكـار الاسـتواء لله سـبحانه[3] ولعل ذلك لتـأثر الثعـالبي ببيئته الأشـعرية ومشـايخه وكـذلك من ينقل عنهم ممن ألف في هـذا البـاب كـالغزالي والقرطـبي، إضـافة إلى تـأثره بمنهج الصوفية واستعماله بعض ألفاظهم كأربـاب الإشـارات ، وأهل السلوك ، أرباب القلوب، وغيرها .

---

[1](?) انظر ص 296* ففيه التعليق على هذه المسألة وذكر عقيدة أهل السنة في ذلك .

[2](?) انظر ص302 * ففيه التعليق على هذه المسألة وذكر عقيدة أهل السنة في ذلك .

[3](?) انظر ص 1001* ففيه التعليق على هذه المسألة وذكر عقيدة أهل السنة في ذلك .

المبحث الخامس : الموازنة بين منهج الكتاب والمنهج في كتابين في **موضوعه** ، -النهاية والبدور السافرة- **وفيه مطلبان :**

قبل الموازنة التفصيلية يمكن التقديم بموازنة إجمالية يكـون من بعـدها الـدخول في الموازنة التفصـيلية بين كتاب الثعالبي وبين كتاب ابن كثير والسـيوطي وتتلخص هذا الموازنة الإجمالية في عدة أمور :

الأول : أن التقارب في موضـوع هـذه الكتب ظـاهر؛ فكلها تتكلم عن نفس الموضــوع تقريبــاً؛ لكن الزيــادة جاءت في كتاب ابن كثير – النهاية – حيث جــاء فيه ذكر الفتن تتمــةً للبدايــة، فــزاد عن العلــوم الفــاخرة وعن البــدور الســافرة بــالكلام عن الفتن وما يكــون في آخر الزمان، ومدة الخلافة وفتوحات المسلمين .. .

الثـاني : اتفق كتـاب العلـوم الفـاخرة وكتـاب البـدور السافرة في أن لكل واحد منهما مقدمة خاصة به؛ يبين فيها مؤلفه موضـوع كتابه وسـبب تأليفـه، ومنهجه فيـه، واختلف عنهما كتاب النهاية بأن جاء تتمة لكتــاب البداية والنهاية فكانت مقدمته تبعاً لمقدمة أوله .

الثـــــــــالث : اتفقت جميع الكتب الثلاثة في منهج الاستدلال فالقرآن الكـريم هو المصـدر الأول ثم السـنة النبوية ثم كلام أهل العلم على اختلافهم .

الرابع : جميع هـــذه الكتب تتخذ من كتـــاب التـــذكرة للقرطـــبي مرجعـــاً أساســـاً؛ وإن كـــان هنـــاك بعض الاستدراك والنقد لكنها تجعله مرجعــاً أساســاً والكتـاب يستحق ذلك، ثم يأتي بعد ذلك كتــاب العاقبة لعبد الحق الإشبيلي وكتب الغزالي كالإحياء والدرة الفاخرة .

الخامس : تفوق ابن كثــير من الناحية العلمية فهو من المحققين وانعكس ذلك على كتابـه، بخلاف ما كـان من الثعالبي والسيوطي حيث غلب عليهما طابع الجمع أكثر من التحقيق .

بعد هذا يمكن إبـراز الموازنة التفصـيلية بـالمطلبين التاليين :

المطلب الأول : النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير :

تتضح موازنة منهج ابن كثــير – رحمه الله – في كتابه النهاية في الفتن والملاحم بمنهج الثعـــــالبي في كتابه العلوم الفاخرة بأمور:

أولاً : موضوع الكتاب :

إن موضوع كتاب النهاية لابن كثير لا يختلف كثيراً عن كتـاب العلـوم الفـاخرة للثعـالبي ذلك لأن يزيد عليه في بدايته حيث أنه جـاء متممـاً لكتـاب البداية الشـهير لابن كثير، فمن ضمن موضوعات ابن كثـير اليـوم الآخر لدخوله في النهايــة، وقد نص على الموضــوعات الــتي أودعها كتابه النهاية وأنه سيتكلم عن :" البعث والنشور، وأهوال القيامة، ثم صفة ذلك ، وما في ذلك اليوم ، وما يقع فيه من الأمــور الهائلــة، ثم صــفة النــار ، ثم صــفة الجنان، وما فيها من الخيرات الحسان، وغـير ذلك ، وما يتعلق به..."[1]فيظهر أن موضوع كتـاب النهاية لا يختلف عن موضــوع كتــاب العلــوم الفــاخرة بل يزيد عليه من حيث أنَّه جاء متمماً لكتاب البداية .

ثانياً : التقديم[2] والتقسيم والترتيب :

1-إن كتـــاب النهاية لابن كثـــير هو الشق الثـــاني من الكتاب الكبير :" البداية والنهايـة" فيُعد الكتـاب تتمة لما كان قبله، لذلك كـانت مقدمته من ضـمن مقدمة البداية والنهايـة؛ وكـانت المقدمة الـتي كتبها ابن كثـير تـوحي بالقوة العلمية التي يتمتع بها وإن كان بعض ما جاء فيها ينطبق على البداية أكــثر من النهايــة؛ وجــاء فيها :" ثم نــذكر ما بعد ذلك إلى زماننــا، ونــذكر الفتن والملاحم ،

---

[1](?) البداية والنهاية لابن كثير 1/6 .

[2](?) المقصود به وضع مقدمة للكتاب .

وأشراط الساعة، ثم البعث والنشور، وأهوال القيامة، ثم صفة ذلك ، وما في ذلك اليوم ، وما يقع فيه من الأمور الهائلة، ثم صفة النار ، ثم صفة الجنان، وما فيها من الخيرات الحسان، وغير ذلك ، وما يتعلق به..."[1]؛ فبدأ المؤلف – ابن كثير – ببعض ما أخبر به النبي أنه سيقع، وتحديد مدة الخلافة وفتوحات المسلمين من بعد، ثم الكلام على أشراط الساعة والفتن في آخر الزمان، ثم قيام الساعة إلى آخر موضوعات اليوم الآخر...فموضوعات كتاب النهاية فيها زيادة خصوصاً في بدايته عن الكتابين الآخرين.

2- يبدأ ابن كثير البابَ بمقدمة يؤصل فيها المسألة التي سيتكلم عنها .[2]

3- قسم ابن كثير الكتاب إلى أبواب وفصول على شكل يقارب ما صنعه الثعالبي والسيوطي من بعده .

ثالثاً : الاستدلال :

1-تظهر الصنعة الحديثية لدى ابن كثير بشكل واضح، كيف لا ؟ وهو الحافظ أبي الفداء ابن كثير فنفس المحدث ظاهر في كتابه؛ فتجده مرة يورد أحاديث الباب ومرة يزيد بذكر الطرق [3] ومرة يذكر صحيحها من سقيمها[4].

---

[1](?) البداية والنهاية لابن كثير 1/6 .

[2](?) مثال ما صنعه في باب جامع لأحكام تتعلق بالجنة والنار وأحاديث شتى وردت فيها .. قال :" فصل : والجنة و النار موجودتان الآن ... " وأخذ يستدل للمسألة ويذكر التحقيق فيها وأنه هو اعتقاد أهل السنة والجماعة. انظر 20/421.

[3](?) جاء في النهاية 20/195 :" ذكر الأحاديث الواردة في شفاعة رسول الله يوم القيامة وبيان أنواعها وتعدادها ثم بيان طرق الأحاديث وألفاظها " ثم يذكر طرقاً كثيرة ..

[4](?) جاء في النهاية 20/161 :" ذكر أماكن في النار وردت بأسمائها الأحاديث؛ وبيان صحيح ذلك وسقيمه" .

2-نص ابن كثـــير في المقدمة بـــأن المعتمد في كتابه بقوله :" وإنما الاعتماد والاستناد على كتـاب الله وسـنة رســـول الله وما صح نقله أو حَسُـــنَ ، وما كـــان فيه ضـــــعف نبينــــه"[1] فتجد ابن كثــــير يحكم على بعض الأحاديث وأمثلة ذلك كثير .[2]

رابعاً : المصادر والعزو :

1-كتـاب ابن كثـير متقـدم على كتـاب الثعـالبي وكتـاب الســيوطي، ومع ذلك لم ينقل منه الثعــالبي ولعل ذلك سببه تباعد البلدان؛ فابن كثير من الشام والثعــالبي من الجزائر .

2-يعــزو ابن كثــير إلى مواضع في كتابه[3] كما أنه يحيل إلى تفسيره[4]ولعل هذا الأمر مشترك في الكتب الثلاثة .

خامســاً : الأســلوب وتــأثير الصــنعة الحديثية والمآخذ :

تميز كتاب النهاية بأن مؤلفه من المحققين يشـهد لـذلك كتابه هـذا وكتـاب التفسـير وكتبه الأخـرى وأمثلة قدرته على تأصـيل المسـائل ظـاهرة، مع القـدرة على

---

[1](?) البداية والنهاية لابن كثير 1/6 .

[2](?) ومن الأمثلة على ذلك قوله :" وهذا الإسـناد فيه نظـرٌ من جهة رجالــه، ولكن له شــاهد من وجه آخر صــحيح ..." النهاية لابن كثير 19/93 ، وقوله :" وهذا إسناد جيد، وحديث حسـن، وعليه نــور الصــدق وجلالة النبــوة..." 19/109 ، ونقل عن القرطبي ثم قـال – ابن كثـير- : " وهـذا الحـديث لا يُعـرف في شيء من الكتب المعتمدة، وأخلق به أن لا يكون صـحيحاً ، بل أخلق به أن يكون موضوعاً ، أو أن يكون موقوفاً على حذيفة ، ولا يصح عنه أيضــاً، والله ســبحانه أعلم " النهاية لابن كثـــير 19/92-93 .

[3](?) انظر النهاية لابن كثير 20/186 .

[4](?) انظر النهاية لابن كثير 19/393و 20/187 .

النقد[1] والقوة في الترجيح [2] لذلك نجد أن أسلوب ابن كثير في كتابه يعتبر مختلفاً اختلافاً كبيراً عن أسلوب الثعالبي في كتابه إذ الثعالبي يُعَدُّ جَمَّاعاً؛ بخلاف ابن كثير فهو مصنف بارع في فنه وعلم اليوم الآخر مصدره ومعتمده النقل، وابن كثيرٍ فارس في هذا الميدان، لذلك تميز أسلوبه عن أسلوبِ الثعالبي؛ فقد صبغ أسلوبه بصبغة المحدثين[3]، ويحرر المسائل ويحقق القول فيها؛ وكأنك تقرأ في كتب المتقدمين من أهل العلم، كيف لا وشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله عليهم جميعاً - .

وكذلك يشترك ابن كثير مع الثعالبي في إيراد الأحاديث الضعيفة؛ لكنه ينتقدها نقداً يشفى ويكفي، ومن أمثلة ذلك فعله – الثعالبي - في نقله عن القرطبي : أنَّ على كل زاوية من زوايا الحوض واحد من الخلفاء الأربعة – رضي الله عنهم –وأن صاحب الغيلانيات رفعه وأن هذا لا يقال من جهة الرأي وأنه مرفوع. ثم علق الثعالبي على هذا بقوله :" قلت

---

[1](?) مثال ذلك : بعد نقله لكلام الضحاك في ترتيب أدراك أهل النار على ستة أدراك، فقال – ابن كثير - : قلت : هذه المراتب والمنازل وتخصيصها بهؤلاء مما يحتاج إثباته إلى سند صحيح إلى المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، أو قرآن ناطقٍ بذلك ، ولكن معلوم أن هؤلاء كلهم يدخلون النار، وكونهم يكونون على هذه الصفة في الأخبار وعلى هذا الترتيب فالله أعلم بذلك ، فأما المنافقون ففي الدرك الأسفل من النار بنص القرآن لا محالة . النهاية لابن كثير 20/176 .

[2](?) مثال ذلك : قوله : " والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعاً؛ لحديث فاطمة بنت قيس الفهرية فإنه فيصلٌ في هذا المقام، والله أعلم " النهاية لابن كثير 19/127.

[3](?) مثال ذلك إيراده لكثرة الطرق الواردة في بعض الأحاديث كأحاديث ذكر ما ورد في الحوض 19/423-466 .

والمفهوم من هذا أن من أبغض واحداً من الأربعة لم يسقه الباقون، ويخاف على أبغض واحداً من أصحاب النبي أن يسلك به هذا السبيل، فرضي الله عن جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين"[1]بينما نجد أن ابن كثير يورد هذا ثم يقول :" قلت: وقد رُوِّيناه في الغيلانيات ولا يصح إسناده؛ لضعف رجاله، والله أعلم"[2] .

ومن المآخذ على ابن كثير – رحمه الله – التي يشـترك فيها مع الثعالبي نقله من القرطـبي في بعض المسـائل التي ليس فيها نص يحسم الخلاف .[3]

---

[1] (?) قسم التحقيق ص 260-261 .*

[2] (?) النهاية لابن كثير 19/472 .

[3] (?) كما فعل في كلامه عن الخلاف في الحــوض والصــراط ونقله عن الغزالي والقرطبي انظر 19/471-472 .

المطلب الثاني : البدور السافرة للسيوطي:

يمكن أن تتم الموازنة بين منهج السيوطي في كتابه البدور السافرة و منهج الثعالبي في العلوم الفاخرة بعدة أمور :

أولاً : موضوع الكتاب :

نص السيوطي في بداية الكتاب على أن كتابه في علوم الآخرة ووصفه بأنه جامع مستوعب لأحوال الآخرة؛ فوصفه بأنه كتاب :" جامع ومستوعب لأحوال النفخ في الصور والنشر والبعث والحشر وأهوال الموقف والحوض والميزان والعرض، والحساب والقصاص والصراط ، وصفة جهنم ، وصفة الجنة..."[1] فشابه من حيث الموضوعات؛ موضوعات كتاب الثعالبي العلوم الفاخرة .

ثانياً : التقديم والتقسيم والترتيب :

1-قدم السيوطي لكتابه بمقدمة مختصرة مقاربة لمقدمة الثعالبي في كتابه العلوم الفاخرة، وفيها بين منهجه وتقسيمه لكتابه .[2]

2-رسم السيوطي المنهج الذي سوف يسلكه في كتابه في المقدمة فقال :" متتبعاً لذلك من الآيات الكريمة والأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة – ولها حكم الرفع – على ما تقدر في علم الحديث، معتنياً بتفسير كل آية في ذلك من كلام النبي والصحابة ، وبإيضاح الحديث

[1](?) البدور السافرة للسيوطي ص 13 .
[2](?) البدور السافرة للسيوطي ص 13 .

من كلام الحفاظ والمحققين وتتبع الطرق لإثبات التواتر" [1].
3-بالنظر إلى تقسيم السيوطي لكتابه البدور السافرة يظهر أنه قسَّمه على نحو ما صنع الثعالبي في كتابه غالباً ، وقد بوب باباً سماه : "باب ترتيب أحوال القيامة على سبيل الإجمال"[2] فذكر ترتيب ابن حبان لها؛ ثم أورد كلام القرطبي وغيره، والخلاف في الترتيب ثم قال :" وها أنا أورد الأبواب على ما ذكر من الترتيب"[3]. إلا ما كان من زيادة في بعض الأبواب كباب فتوى العلماء في الجنة واحتياج الناس إليهم[4] وباب ماجاء في رؤية الملائكة ربهم[5] مع أن السيوطي تفوق على الثعالبي في تسمية الأبواب والفصول، فكان في الترتيب والتوبيب أميز من الثعالبي .
4-درج السيوطي في كتابه على أنه يورد الآيات – إن كان في الباب آيات – والأحاديث، ثم أقوال أهل العلم من شروح للأحاديث و تفسير بعض ألفاظها الغريبة، ويعرج إن كان هناك خلاف في مسألة معينة ثم يختم الباب بفائدة وقد تصل إلى سبعٍ في بعض الأحيان[6] أو تنبيه، أو " قلت" وفي ذلك شبه كبير لصنيع الثعالبي في كتابه العلوم الفاخرة؛ وصنع السيوطي أجود .
5-ميَّز السيوطي تقسيمه لأحاديث باب الحوض فجعل تقسيمها على طريقة المسند، فبدأ بحديث عمر [7] ثم

---

[1] (?) البدور السافرة للسيوطي ص 13 .
[2] (?) البدور السافرة للسيوطي ص 190 .
[3] (?) البدور السافرة للسيوطي ص 193 .
[4] (?) البدور السافرة للسيوطي ص 586 .
[5] (?) البدور السافرة للسيوطي ص 608 .
[6] (?) انظر البدور السافرة للسيوطي ص 169-171.
[7] (?) البدور السافرة للسيوطي ص 215 .

حديث علي [1] ثم حديث أُبي [2] ثم حديث أسيد بن حضير [3] ... وختم بحديث عائشة – رضي الله عنها - [4]، وكذلك صنع في باب زيارة أهل الجنة ربهم ورؤيتهم له [5]، وهذا لا تجده عند الثعالبي ألبتة .

ثالثاً : الاستدلال :

1-منهج السيوطي في الاستدلال يعتمد اعتماداً كلياً على السنة النبوية المطهرة، بعد كتاب الله متبعاً ذلك بالآثار الواردة وأقوال أهل العلم من الحفاظ والمحققين؛ مشابها بذلك سابقيه، فهو يقول في تقدمته :" متتبعاً لذلك من الآيات الكريمة والأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة – ولها حكم الرفع – على ما تقدر في علم الحديث، معتنياً بتفسير كل آية في ذلك من كلام النبي والصحابة ، وبإيضاح الحديث من كلام الحفاظ والمحققين وتتبع الطرق لإثبات التواتر" [6] بينما نجد الثعالبي يكثر عنده الاستدلال بنقول المصنفين قبله مثل الغزالي والمحاسبي والإشبيلي وغيرهم فينقل عنهم بالصفحات .

2- عند إيراد الأحاديث تبرز الصنعة الحديثية التي يتميز بها السيوطي عن الثعالبي فبعد عزو الحديث إلى أكثر من مصدر، يذكر من تكلم في سند الحديث كالحاكم والذهبي والهيثمي ممن سبقوه ، كما نص هو على ذلك في مقدمة كتابه، بل ويتعدى ذلك ؛ فيحكم على الحديث بنفسه كما صنع في أكثر من موضع[7]

---

[1](?) البدور السافرة للسيوطي ص 216 .
[2](?) البدور السافرة للسيوطي ص 216 .
[3](?) البدور السافرة للسيوطي ص 218 .
[4](?) البدور السافرة للسيوطي ص 219 .
[5](?) البدور السافرة للسيوطي ص 589-602 .
[6](?) البدور السافرة للسيوطي ص 13 .

والحقيقة أن السيوطي وإن تفوق على الثعالبي إلا إن ابن كثير يفوقهما فهو الحافظ أبو الفداء ابن كثير .

رابعاً : المصادر والعزو :

1- الحرص الشديد على العزو إلى الكتاب الذي ينقل منه وذلك صنيعه في جميع الأحاديث التي أوردها، وقد اشترك الثعالبي معه في هذه الخصلة وهي عند السيوطي أقول منها عند الثعالبي .
2-يغلب على السيوطي الأخذ بأقوال القرطبي، أكثر من الثعالبي .
3- يعرض السيوطي ويلمح في أثناء كلامه إلى خلاف مضى؛ كما فعل عند قوله :" وهذا على ما اختاره من قال : أن الحوض قبل الصراط والذي رجحه القاضي عياض أن الحوض بجانب الجنة ينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها..." [1]، وهذا الشأن أيضاً عند الثعالبي.[2]

خامساً : الأسلوب وتأثير الصنعة الحديثية والمآخذ :

سلك السيوطي في كتابه البدور السافرة أسلوباً يكاد يطغى على كتابه؛ وذلك بأنه دائماً يقول :" وأخرج فلان.." فتجدها عند السيوطي بأعداد هائلة، بخلاف ذلك عند الثعالبي الذي كان ينوع في الألفاظ ويأخذ أكثر من أسلوب في صياغة العبارات .

---

[7](?) البدور السافرة للسيوطي ص 266 قال عن الحديث : " بسند لا بأس به" ، وفي موضع آخر ص 267 قال :"وأخرج الطبراني بسند واهٍ عن واثلة ..." .
[1](?) البدور السافرة للسيوطي ص 240 .
[2](?) انظر قسم التحقيق ص 230 في الكلام عن الحوض .*

أما بالنسبة إلى الصنعة الحديثية فإن الصنعة الحديثية عند السيوطي تعد أبرز منها عند الثعالبي من حيث كثرة المصادر الحديثية، والعزو المباشر لها، مع التفوق في الحكم على الأحاديث على الثعالبي، مع أن السيوطي يشترك مع الثعالبي في أن كلاً منها جَمَّاع.

ثم إنَّ السيوطي وقع في التأويل المذموم في كتابه البدور السافرة كما صنع الثعالبي في كتابه العلوم الفاخرة؛ وذلك في مسألة الكلام فقد حذوا حذو القرطبي .[1]

---

[1](?) انظر البدور السافرة للسيوطي ص 247، أما ما وقع فيه الثعالبي فسيأتي الكلام عليه مبثوثاً في قسم التحقيق .

الفصل الثالث : دراسة لبعض المسائل المتعلقة بموضوع الكتاب ،وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : منهج الفرق المخالفة في إثبات مسائل اليوم الآخر :

لقد بين لنا النبي أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة[1]، وهو إخبار بما هو كائن في هـذه الأمة لا مناص منه، وبما أن هذه الافتراق يكون بهذا العدد، فإنه يصعب تحديد منهج موحد للفرق المخالفة في إثبات مسائل اليوم الآخر، لكن يمكن إبراز الأطر العامة لهذا المنهج الذي يظهر متبايناً بين فرقة وفرقة، بل بين أفراد الفرقة الواحدة أحياناً .

يقول شيخ الإسلام :" ولهذا افترق الناس في هذا المقام ثلاث فرق: فالسلف والأئمة وأتباعهم آمنوا بما

---

[1](?) ثبت هـذا من حـديث الافتراق المشهور الـذي روي من طريق متعددة عن عدد من الصحابة –رضي الله عنهم – ونص الحديث عند ابن حبان :" افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً " وقد رواه أحمد في مسنده 2/332، وأبو داود في سننه 4/197، وبان ماجه في سننه 2/1321-1322، والترمذي في سننه 5/25 وقال :" حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح" ، وابن أبي عاصم في السنة 1/32-36، والمروزي في السنة ص 23، وأبو يعلى في مسنده 10/317، وابن حبان في صحيحه 14/140، والآجري في الشريعة 1/320، والطبراني في الكبير 18/70، وفي مسند الشاميين 2/100، والحاكم في المستدرك 1/217 وقال :" هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شواهد" ووافقه الذهبي في التلخيص، والبيهقي في السنن الكبرى 10/208، وقال شيخ الإسلام :" الحديث صحيح مشهور في السنن والمساند؛ كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم..." مجموع الفتاوى 3/345، وانظر التذكرة في الأحاديث المشتهرة للزركشي ص216 .

اخـــبر الله به عن نفسه، وعن اليـــوم الآخر، مع علمهم بالمباينة التى بين ما في الدنيا وبين ما في الآخرة، وأن مباينة الله لخلقه أعظم.

والفريق الثانى: الذين أثبتوا ما أخبر الله به في الآخرة من الثــواب والعقــاب، ونفــوا كثــيراً مما أخــبر به من الصفات؛ مثل طوائف من أهل الكلام.

والفريق الثالث: نفوا هذا وهذا كالقرامطة والباطنية والفلاسفة أتباع المشائين ونحوهم من الملاحدة الذين ينكرون حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر"[1].

ولا يخفى أن مسائل اليوم الآخر هي من أمور الغيب التي لا يكون العلم بها إلا من جهة نصوص الوحي، فعلى ذلك يكون منهج الفِرق المخالفة في إثبات مسائل اليوم الآخر داخلاً في منهج العام لهذه الفرق والذي تطرده في باقي المسائل التي طريقها الوحي، قال ابن القيم:"الفصل الثامن عشر في إنقسام الناس في نصوص الوحي إلى أصحاب تأويل وأصحاب تخييل وأصحاب تجهيل وأصحاب تمثيل وأصحاب سواء السبيل"[2].

والكلام في هذا المبحث سيكون عن الذين أثبتوا مسائل اليوم الآخر بطرق مخالفة لطريقة السلف، ويمكن تقسيم الطرائق التي سلكتها الفرق المخالفة في إثبات مسائل اليوم الآخر إلى طريقين :

---

[1](?) فتاوى شيخ الإسلام 2/29 .

[2](?) الصواعق المرسلة لابن القيم 2/418 .

الطريقة الأولى:منهج الفلاسفة والباطنية ومن تبعهم :
وهي طريقة أصحاب التخييل[1] فهولاء سلكوا مسلك الاعتقاد بأن الرسل لم تفصح للخلق بالحقائق إذ ليس في قواهم إدراكها وإنما خيَّلت لهم وأبرزت المعقول في صورة المحسوس ، فقالوا إن الرسل قربوا لهم الحقائق المعقولة في إبرازها في الصور المحسوسة وضربوا الأمثال بقيام الأجساد من القبور في يوم العرض والنشور، ومصيرها إلى جنة فيها أكل وشرب، ولحم وخمر وجوار حسان، أو نار فيها أنواع العذاب؛ تفهيماً للذة الروحانية بهذه الصورة، والألم الروحاني بهذه الصورة، وقالوا بأنه لا يحل لأحد أن يتأول ذلك على خلاف ظاهره للجمهور؛ لأنه يفسد ما وضعت له الشرائع والكتب الإلهية، أما الخاصة فإنهم يعلمون أن هذه أمثال مضروبة لأمور عقلية تعجز عن إدراكها عقول الجمهور التي هي أضعف من عقول الصبيان بالنسبة إلى عقول أهل الحكمة، وحقيقة الأمر عند هذه الطائفة أن الذي أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر لا حقيقة له يطابق ما أخبروا به، ولكنه أمثال وتخييل وتفهيم بضرب الأمثال،[2] وهذه الطريقة هي طريقة الفلاسفة ومن شابههم[3]من الباطنية الذين ينكرون

---

[1](?) انظر : درء تعارض النقل والعقل لشيخ الإسلام ابن تيمية 1/8-13، ومجموع الفتاوى له 4/67، والفتوى الحموية له ص 277-280، والصواعق المرسلة لابن القيم 2/418 .

[2](?) انظر : درء تعارض النقل والعقل لشيخ الإسلام ابن تيمية 1/8-13، ومجموع الفتاوى له 4/67، والفتوى الحموية له ص 277-280، والصواعق المرسلة لابن القيم 2/418 .

[3](?) انظر رسالة في إثبات النبوات لابن سينا 1/441-443، ورسائل إخوان الصفا 3/488، ومناهج الأدلة لابن رشد ص 45 .

الحشر والنشر والجنة والنار وجملة ما اشتمل عليه وعد القرآن ووعيده بفنون من التأويلات باطلة .[1]
يقول ابن سينا :"ترغيب الجمهور وترهيبهم بالبشارة بالثواب والإنذار بالعقاب، وتصوير السعادة الثوابية، لا بالصورة الإلهية الجليلة الفائقة التي هي عليها، بل بالصورة المفهومة عندهم المستحقة لديهم، وهي اللذة والراحة، وتصوير الشقاوة في مقابل ذلك، وتقسيم اللذة إلى المبصرة، والمسموعة والمشمومة، والمطعومة – والنكاحية من الملموسة- وإشباع القول في أسباب كل واحد منها من حور عين، وولدان مخلدين، وفاكهة مما يشتهون، وكأس من معين، لا يصدعون عنها ولا ينزفون، وجنات تجري من تحتها الأنهار، من لبن وعسل، وخمر، وماء وظلال، وسرر وأرائك ، وخيام وقباب فرشها من سندس وإستبرق، وجنة عرضها السماوات والأرض، وما يجري مجرى ذلك، وتقسيم الراحة الروحانية إلى الخلو عن الأحزان، والمخاوف، والدوام على الفرح والسرور والنشاط، وأعظم ذلك كله زيارة رب العالمين، وكشف الحجاب عنه تعالى لهم... وأما المسيء فبأضداد ذلك من السعير والزمهرير والزبانية، والسلاسل والأغلال، وأكل الضريع، وشرب الصديد، وتدميغ مقامع الحديد إياهم، وتبديل جلودهم عقيب جلود تأكلها النار، حتى لا يفنى عقابهم، فإذا لم يمثل لهم الثواب والعقاب البعيد عن الأفهام بما يظهر لم يرغبوا ولم يرهبوا.. فوجب في

---

[1](?) فضائح الباطنية للغـزالي ص 172-173، وانظر : الفـرق بين الفرق للبغدادي ص 279، والتبصير في الدين للاسفراييني ص 143-144، والملل والنحل للشهرستاني 1/192، واعتقادات فرق المسلمين للرازي ص 76 .

حكم السياسة الشرعية تقرير أمر المعاد والحساب والثواب والعقاب على هذه الوجوه"[1].

ومثل هذه الأقوال لا توجد في كلام الله ورسوله وإنما الموجود في كلام الله ورسوله أقوال أهل الإثبات، فإذا حدَّث المحدث بها من لا يحملها عقله أفضى إلى تكذيب الله ورسوله، والأمور الباطنة فيها إجمال؛ فالملاحدة يدعون الباطن المخالف للظاهر، وأما أهل الإيمان؛ فالباطن الحق عندهم موافق للظاهر الحق، فما في بواطنهم من المعارف والأحوال، وتحقيق التوحيد ومقامات أهل العرفان، موافق لما جاء به الكتاب والرسول، يزداد صاحبها بأخبار الأنبياء إيماناً، بخلاف الملاحدة كلما أمعن الواحد منهم فيه بعد عن الله ورسوله.[2]

الطريقة الثانية : منهج طوائف من المتكلمين ومن تبعهم :

وتنقسم هذه الطريقة إلى قسمين :

القسم الأول : وهو منهج أصحاب التحريف والتأويل؛ الذين يقولون إن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال- مسائل اليوم الآخر- إلا ما هو الحق في نفس الأمر وإن الحق في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا؛ ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات التي يحتاجون فيها إلى إخراج اللغات عن طريقتها المعروفة، وإلى الإستعانة بغرائب المجازات والإستعارات.[3]

---

[1] (?) الرسالة الأضحوية لابن سينا ص 59-61 .

[2] (?) انظر درء تعارض النقل والعقل لابن تيمية 5/86 .

[3] (?) درء تعارض النقل والعقل لشيخ الإسـلام ابن تيمية 1/12، ومجموع فتاوى شيخ الإسـلام 4/67، والفتـوى الحموية له ص 280-282.

بالإضافة إلى استعمال أدلة وشبهات فلسفية كدليل الجواهر والأعراض والذي يستدلون به على وجود الله والمعاد [1]وكاستدلالهم بلفظ الجسم والعرض والتركيب والحيز والجهة ونحوها. [2]
كل هذا أدى بهم إلى تحريف معاني القرآن وتعطيلها وحكموا على الأحاديث بأنها ظنية الثبوت والدلالة يقول القاضي عبد الجبار في معرض الرد على من يثبت رؤية الله :"إن جميع ما رووه من أخبار آحاد ولا يجوز قبول ذلك فيما طريقه العلم لأن كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط...وإنما يعمل بأخبار الآحاد في فروع الدين ، وما يصح أن يتبع العمل به غالب الظن ، فأما ما عداه فإن قبوله فيه لا يصح ، ولذلك لا يرجع إليه في معرفة التوحيد والعدل وسائر أصول الدين" [3].
وهؤلاء أشد الناس اضطراباً إذ لم يثبت لهم قدم في الفَرق بين ما يتأول وما لايتأول، ولا ضابط مطرد تجب مراعاته وتمنع مخالفته عندهم وإنما هم تبع لأهوائهم وعقولهم فما جاز في عقولهم أثبتوه وما ليس بجائر في عقولهم أولوه .[4]
وهذه الطريقة طريق خلق كثير من المتكلمين وعليها بني سائر المتكلمين المخالفين لبعض النصوص مذاهبهم .[5] فلذلك رد السلف الصالح عليهم بردود

---

[1](?) انظــر: شــرح الأصــول الخمسة للقاضي عبد الجبــار ص 531 .
[2](?) انظر : شــرح الأصــول الخمسة للقاضي عبد الجبــار ص 856 .
[3](?) المغــني في أبــواب التوحيد والعــدل للقاضي عبد الجبــار 4/225.
[4](?) انظر الصواعق المرسلة لابن القيم 2/418 .
[5](?) انظر درء تعـارض النقل والعقل لشـيخ الإسـلام ابن تيمية 1/13 .

مختلفة منها رد الإمام أحمد رحمه الله في كتابه :الرد على الزنادقة والجهمية .
قال القاضي عبد الجبار :"يجب أن يرتب المحكم والمتشابه جميعاً على أدلة العقول"[1]يقول شيخ الإسلام :" ولهذا يجعل كل فريق؛ المشكل من نصوصه غير ما يجعل الفريق الآخر مشكلاً، فمنكر الصفات الخبرية الذي يقول: إنها لا تعلم بالعقل ،يقول: نصوصها مشكلة متشابهة، بخلاف الصفات المعلومة بالعقل عنده بعقله، فإنها عنده محكمة بينة، وكذلك يقول من ينكر العلو والرؤية؛ نصوص هذه مشكلة، ومنكر الصفات مطلقاً يجعل ما يثبتها مشكلاً دون ما يثبت أسماءه الحسنى، ومنكر معاني الأسماء يجعل نصوصها مشكلة، ومنكر معاد الأبدان وماوصفت به الجنة والنار يجعل ذلك مشكلاً أيضاً، ومنكر القدر يجعل ما يثبت أن الله خالق كل شيء وما شاء كان مشكلاً، دون آيات الأمر والنهى والوعد والوعيد، والخائض في القدر بالجبر؛ يجعل نصوص الوعيد بل ونصوص الأمر والنهى مشكلة " [2].
و بناء على الأصل الفاسد الذي طردته الخوارج والمعتزلة من تخليد صاحب الكبيرة في النار؛ أنكرت الخوارج والمعتزلة الشفاعة؛ يقول القاضي عبد الجبار :" فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين" ويقول أيضاً :" فحصل لك بهذه الجملة؛ العلم بأن الشفاعة ثابتة للمؤمنين دون الفساق من أهل الصلاة"[3] فأثبات الشفاعة لأهل الكبائر مخصوص

[1] (?) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص7 .
[2] (?) درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسـلام ابن تيمية 1/16-17 .

عندهم بأصحاب الصغائر أو الذين تابوا، أو الذين لا ذنب لهم، فتكون بمثابة زيادة الفضل والإنعام عليهم.[1]

واستمراراً لهذا الانحراف في المنهج يقول الدكتور مصطفى محمود من المعاصرين:"وما ترويه الأحايث عن أن محمداً عليه الصلاة والسلام سوف يُخرج من النار كل من قال:لا إله إلا الله ، ولو زنا ولو سرق... رغم أنف أبي ذر،[2] هكذا يقول الحديث، وهو ما يخالف صريح القرآن...- ويقول: - وسبب الإشكال أن القرآن ينفي الشفاعة في الكثير من آياته المحكمة نفياً مطلقاً، وفي آيات آخرى يذكرها مقيدة ومشروطة بالإذن الإلهي ".[3]

---

[3](?) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص 688-690 .

[1](?) انظر المقالات للأشعري ص474، والإبانة له ص241-243، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص671-691، ومتشابه القرآن له ص600، والعدل والتوحيد للقاسم الرسي ص283 ضمن رسائل العدل والتوحيد، والتمهيد للباقلاني ص427، والفصل لابن حزم 4/63، والكشاف للزمخشري 1/384 ، والتبصير في الدين للإسفراييني ص 66، ومعالم أصول الدين للرازي ص133 .

[2](?) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس باب الثياب البيض 5/2193 برقم 5489، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان 1/95 برقم 94 .

[3](?) انظر في ذلك المراجعات حول إنكار مصطفى محمود لأحاديث الشفاعات بقلم : سعود الشريم، والشناعة على من رد أحاديث الشفاعة (رد على مصطفى محمود) تأليف عبد الكريم الحميد، والشفاعة عند الله يوم القيامة وتصحيح لما كتبه د.مصطفى محمود ، تأليف د.محمد مجاهد نور الدين، وفي الشفاعة انظر : الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالف فيها ، د.ناصر الجديع.

ومن الأمثلة على هذا المنهج أن من المعتزلة من أَوَّلَ الصراط بأنه الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضى إلى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبها هلك واستحق من الله النار.[1]

[illegible] [2] [illegible] "[3].

وينبغي أن ينبه إلى أن تأويل عذاب القبر والصراط والميزان إنما هو قول البغداديين من المعتزلة دون البصرية .[4]

وأولوا نصوص الرؤية بتأويلات ؛ فقالوا عن قول الله [illegible] [5] أن النظر في اللغة العربية له عدة استعمالات، وليس خاصاً برؤية العين، ولما كانت رؤية الله بالعين – عندهم – مستحيلة حملوا نظر الوجوه على معاني أخرى؛ كانتظار الثواب، أو

---

[1] (?) انظر الأصـول الخمسة للقاضي عبد الجبـار ص 738 فقد ذكـــره القاضي عن أحد المعتزلة ورده، وانظر لوامع الأنـــوار للسفاريني 2/193 .

[2] (?) سورة الفاتحة آية : 6 .

[3] (?) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص 737 .

[4] (?) انظر درء تعارض النقل والعقل لشـيخ الإسـلام ابن تيمية 5/348 .

[5] (?) سورة القيامة الآيتان : 22-23 .

تقليب الحدقة طلباً للرؤية، أو التفكر بالقلب طلباً للمعرفة، أو ناظرة إلى آلاء ربها.[1]
وتأولوا حديث الرؤية على معنى العلم، يقول القاضي عبد الجبار:"أي ستعلمون ربكم يوم القيامة، كما تعلمون القمر ليلة البدر، وعلى هذا قال: لا تضامون في رؤيته، أي لا تشكون في رؤيته، فعقبه بالشك، ولو كان بمعنى رؤية البصر لم يجز ذلك"[2].
بل من أهل الكلام من أنكر الحوض[3]، وقد أنكر بعض أهل البدع من المتكلمين وغيرهم أن تكون الجنة موجودة كالنار، وقالوا بل ينشأها الله يوم القيامة؛ بل زادوا في غيهم وقالوا أن خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- فإنهما يصيران معطلتين مدداً متطاولة ليس فيهما سكانهما، فحجروا على الرب بعقولهم الفاسدة، وشبهوا أفعال الله بأفعالهم، وردوا النصوص. [4]
القسم الثاني : منهج من جعل النقل تابع للعقل؛ فما أمكن عقلاً جاز شرعاً، وهي طريقة في ظاهرها أنها

---

[1] (?) انظر العدل والتوحيد للقاسم الرسي ص 260، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص 242-247، ومتشابه القرآن له ص674، والكشاف للزمخشري 4/192، والمواقف للإيجي 3/166-167 .
[2] (?) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص 270 .
[3] (?) انظر : مقالات الإسلاميين للأشعري ص473 ، والتبصير للإسفراييني ص66، وفتح الباري11/467 ، ولوامع الأنوار للسفاريني 2/202 .
[4] (?) انظر: المقالات للأشعري ص 249، والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص150، والفصل لابن حزم 4/68، والتبصير في الدين للإسفراييني ص76-77، وشرح المقاصد للتفتازاني 2/218-219، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص 476، ولوامع الأنوار للسفاريني ص 233 .

طريقة للسلف في إثبات مسائل اليوم الآخر وفي حقيقتها أنها مبنية على أصل من أصول البدع وهو أن مسائل اليوم الآخر جائزة في عقولهم وليست مستحيلة؛ فليس ثمة مانع من أثباتها، يقول أبو بكر الباقلاني:" ويجب أن يُعلم أن كل ماورد به الشرع من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير، ورد الروح إلى الميت عند السؤال، ونصب الصراط والميزان والحوض والشفاعة للعصاة من المؤمنين، كل ذلك حق وصدق، ويجب الإيمان والقطع به؛ لأن جميع ذلك غير مستحيل في العقل"[1] فإن هذه الطريقة هي طريقة الأشاعرة وهي أن النقل لا يُعمل به ما دام مخالفاً للعقل ومتعارضاً معه.

يقول أبو المعالي الجويني عند ذكره مقدمات السمعيات التي لا بد من الإحاطة بها:" فإذا ثبتت هذه المقدمة ، فيتعين بعدها على كل معتن بالدين واثق بعقله؛ أن ينظر فيما تعلقت به الأدلة السمعية، فإن صادفه غير مستحيل في العقل، وكانت الدلالة السمعية قاطعة في طرقها ، لا مجال للاحتمال في ثبوت أصولها ولا تأويلها-فما هذا سبيله- فلا وجه إلا القطع به "[2]فاستدلالهم بالنقل مشروط بموافقته للعقل على خلاف طريقة أهل السنة والجماعة.

ويقول العضد الإيجي:"إن جميع ما جاء به الشرع من الصراط والميزان والحساب، وقراءة الكتب ، والحوض المورود، وشهادة الأعضاء حق، والعمدة في إثباتها إمكانها في نفسها، إذ لا يلزم من فرض وقوعها محال لذاته، مع إخبار الصادق عنها، وأجمع عليه المسلمون

---

[1](?) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني ص 51 .

[2](?) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص 301 .

قبل ظهور المخالف" [3] فيتبين أن العمدة عندهم هو إمكانها في نفسها لا النص الذي تثبت به الغيبيات من الكتاب والسنة النبوية المطهرة .

ومنهج السلف –رحمهم الله- تقديم النقل على العقل، وكل ما خالف الشرع فهو أوهام و محض خيال لا حقيقة له، ذلك أن ما صح وثبت من الشرع لا يمكن أن يوجد فيه خطأ ، بخلاف عقول الناس وأرائهم، فهي معرضة للخطأ والهوى والجهل وغير ذلك من الواردات التى ترد على العقل البشري الضعيف، قال شيخ الإسلام :"وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم- السلف- اعتصامهم بالكتاب والسنة فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم باحسان؛ أنه لا يقبل من أحدٍ قطُ أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البينات، أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدى للتى هي أقوم، فيه نبأ من قبلهم، وخبر ما بعدهم، وحكم ما بينهم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم ،وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الاهواء، ولا تلتبس به الألسن، فلا يستطيع أن يزيغه إلى هواه، ولا يحرف به لسانه ولا يخلق عن كثرة الترداد، فاذا ردد مرة بعد مرة لم يخلق، ولم يمل كغيره من الكلام، ولا تنقضى عجائبه، ولا تشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، فكان القرآن هو الإمام الذى يقتدى به ،ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأى

---

[3](?) المواقف للعضد الإيجي 3/522-523 .

وقياس، ولا بذوق ووجد ومكاشفة، ولا قال قط: قد تعارض في هذا العقل والنقل، فضلاً عن أن يقول، فيجب تقديم العقل والنقل، يعنى القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين، إما أن يفوض وإما أن يؤول، ولا فيهم من يقول: إن له ذوقاً أو وجداً أو مخاطبة أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث، فضلاً عن أن يدَّعى أحدهم أنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذى يأتى الرسول، وأنه يأخذ من ذلك المعدن علم التوحيد، والأنبياء كلهم يأخذون عن مشكاته، أو يقول: الولى أفضل من النبى، ونحو ذلك من مقالات أهل الالحاد، فإن هذه الأقوال لم تكن حدثت بعد في المسلمين، وإنما يعرف مثل هذه إما عن ملاحدة اليهود والنصارى، فإن فيهم من يُجَوِّز أن غير النبى أفضل من النبى، كما قد يقوله في الحواريين، فإنهم عندهم رسل، وهم يقولون أفضل من داود وسليمان، بل ومن إبراهيم وموسى وإن سموهم أنبياء، إلى أمثال هذه الأمور"[1].

يقول ابن حزم :"إن القرآن والحديث الصحيح متفقان، هما شيء واحد، لا تعارض بينهما ولا اختلاف، يوفق الله لفهم ذلك من شاء من عباده، ويحرمه من شاء من عباده"[2].

---

[1](?) مجمــوع الفتــاوى لشــيخ الإســلام ابن تيمية 13/28-29، وقواعد المنهج السلفي د.مصطفى حلمي ص253.

[2](?) الإحكام لابن حزم 1/100 .

المبحث الثاني : حشر الأجساد :

الحشر : هو الجمع؛ وهو السوق والبعث والانبعاث وأهل اللغة يقولون الحشر الجمع مع سوق وكل جمع حشر، والعرب تقول حشرت مال بني فلان السنةُ؛ كأنها جمعته ذهبت به وأتت عليه،[1]وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة[2] ، فحشرت الناس إذا جمعتهم، والمراد به جمع أجزاء الإنسان بعد التفرقة، ثم إحياء الأبدان بعد موتها.[3]
ولا يتم إيمان عبد إلا بالإيمان بالبعث يقول الله   ٻ
ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ
[4]وجاء في حديث جبريل الطويل : قال :" وما الإيمان؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره"[5] وقد دل على الإيمان بالبعث والإعادة القرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين على أنه حق، والقرآن كله من أوله إلى آخره مملوء بذكر أحوال يوم الآخرة وتفاصيل ما فيه، والفطرة السليمة تدل وتهدي إليه ، والشرائع السماوية كلها تدعو إلى الإيمان به .

---

[1](?) انظر مقاييس اللغة لابن فارس 2/66 .
[2](?) انظر تفسير ابن كثير 2/207، وتهذيب اللغة للأزهري 4/177.
[3](?) انظر مقاييس اللغة لابن فارس 2/66،واللسان لابن منظور 4/190، ولوامع الأنوار للسفاريني 2/158 .
[4](?) سورة البقرة من الآية : 177 .
[5](?) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل 1/27 برقم 50 ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان 1/39 برقم 9 .

وقد نوع الله في كتابه الإخبار عنه ليكون أوقع في النفوس وآكد؛ قال تعالى ﴿ ﴾[1] ويقول تعالى ﴿ ﴾[2] وقال تعالى ﴿ ﴾[3] وضرب المثال لذلك فقال ﴿ ﴾[4] وعن عائشة – رضي الله عنها – قال: قال رسول الله ﷺ :" تحشرون يوم القيامة حفاة غرلاً، غير مختونين، فقلت : يا رسول الله : الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟! قال : يا عائشة الأمر يؤمئذ أشد من ذلك "[5] ومع هذا كله أنكرته طوائف وكذبت به يقول الله تعالى مخبراً عنهم ﴿ ﴾[6] وقال ﴿ ﴾[7] وقال ﴿ ﴾[8].

قال شيخ الإسلام :" وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد

(?)[1] سورة النساء من الآية : 87 .

(?)[2] سورة التغابن آية : 7 .

(?)[3] سورة لقمان آية : 28 .

(?)[4] سورة يس الآيات : 78-80 .

(?)[5] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق باب كيف الحشر 5/2391 برقم 6162 ، ومسلم في كتاب الجنة 4/2194 برقم 2859 .

(?)[6] سورة الأنعام الآيتان : 29-30 .

(?)[7] سورة الإسراء الآيتان : 49-51 .

(?)[8] سورة الجاثية آية : 24 .

الأرواح ولا الأجساد، وقد بين الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك، بياناً تاماً غاية التمام والكمال"[1].

ويقول السفاريني :"واعلم أنه يجب الجزم شرعاً أن الله تعالى يبعث جميع العباد ويعيدهم بعد إيجادهم بجميع أجزائهم الأصلية وهي التي من شأنها البقاء مع أول العمر إلى آخره، ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء ، فإن هذا حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الإمة مع كونه من الممكنات التي أخبر بها الشارع، وكل ما هو كذلك فهو ثابت والإخبار عنه مطابق " [2].

---

[1] (?) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية 4/313 .
[2] (?) لوامع الأنوار للسفاريني 2/159 .

و قد اختلف الناس في أمر المعاد على ثلاثة أقوال:
القول الأول: إثبات معاد الأرواح والأبدان جميعاً، وأن الإنسان إذا مات كانت روحه منعمة أو معذبة، ثم تعاد روحه إلى بدنه عند القيامة الكبرى؛ وهذا مذهب سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين المشهورين وغيرهم من أهل السنة والحديث من الفقهاء والصوفية والنظار.[1]
القول الثاني :قول من يثبت معاد الأبدان فقط- المعاد الجسماني-[2]كما ورد هذا عن بعض المتكلمين .[3]

---

[1](?) انظر رسالة إلى أهل الثغر للأشعري ص282، ومعالم أصول الدين للرازي ص126-127، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية 4/314، والروح لابن القيم ص52 ، والمواقف للعضد الإيجي 3/476، ولوامع الأنوار للسفاريني 2/158.
[2](?) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول:"وهؤلاء يقرون بمعاد الأبدان لكن ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابها بدون الأبدان" مجموع الفتاوى 4/283، ويقول :" قول من يثبت معاد الأبدان فقط، كما يقول ذلك كثير من المتكلمين الجهمية والمعتزلة المبتدعين من هذه الأمة؛ وبعض المصنفين يحكي هذا القول عن جمهور متكلمي المسلمين أو جمهور المسلمين وذلك غلط فإنه لم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين، ولا هو قول جمهور نظارهم، بل هو قول طائفة من متكلميهم المبتدعة، الذين ذمهم السلف والأئمة" الجواب الصحيح 6/10.
[3](?) انظر : التفسير الكبير للرازي 16/24، والمواقف للعضد الإيجي 3/474-480، وشرح المقاصد للتفتازاني 2/208و 211، يقول العضد الإيجي:" واعلم أن الأقوال الممكنة في مسألة المعاد لا تزيد على خمسة؛ الأول: ثبوت المعاد

القول الثالث: أن المعاد للأرواح فقط؛ وهو قول الصابئة والفلاسفة [1] وهذا لم يقله أحد من أهل الملل لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارى، بل كلهم متفقون على إعادة الأبدان وعلى القيامة الكبرى، لكن من تفلسف من هؤلاء فوافق سلفه من الصابئة والفلاسفة المشركين على أن المعاد للروح وحده وأن الأنبياء لم يظهروا الحقائق للخلق بل خاطبوا الجمهور بمعاد الأبدان وليس له حقيقة، بل كذبوا للمصلحة، ومنهم من يقول بأن الأرواح تتناسخ في أبدان الأدميين أو أبدان

الجسماني فقط، وهو قول أكثر المتكلمين النافين للنفس الناطقة، والثاني: ثبوت المعاد الروحاني فقط، وهو قول الفلاسفة الإلهيين، والثالث: ثبوتهما معاً، وهو قول كثير من المحققين كالحليمي والغزالي والراغب وأبي زيد الدبوسي ومعمر من قدماء المعتزلة، وجمهور من متأخري الإمامية، وكثير من الصوفية، فإنهم قالوا الإنسان بالحقيقة هو النفس الناطقة وهي المكلف والمطيع والعاصي والمثاب والمعاقب والبدن يجري منها مجرى الآلة والنفس باقية بعد فساد البدن، فإذا أراد الله تعالى حشر الخلائق، خلق لكل واحد من الأرواح بدناً يتعلق به ويتصرف فيه، كما كان في الدنيا، والرابع: عدم ثبوت شيء منهما؛ وهذا قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين، والخامس: التوقف في هذه الأقسام، وهو المنقول عن جالينوس فإنه قال لم يتبين لي أن النفس هل هي المزاج فينعدم عند الموت فيستحيل إعادتها أو هي جوهر باق بعد فساد البنية فيمكن المعاد حينئذ" المواقف 3/478-479 .

[1](?) انظر قواعد العقائد للغزالي ص 138، وفضائح الباطنية ص47-48، واعتقادات فرق المسلمين للرازي ص 91، ومجموع الفتاوى لابن تيمية 4/314، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص236، والمواقف للعضد الإيجي 3/474، ولوامع الأنوار للسفاريني 2/158.

الحيوان مطلقاً، ومنهم من يقول بالتناسخ للأنفس الشقية فقط، وكثير من محققيهم ينكر التناسخ . [1]
يقول ابن سينا :"فإذا بطل أن يكون المعاد للبدن وحده، وبطل أن يكون للبدن والنفس جميعاً، وبطل أن يكون للنفس على سبيل التناسخ، فالمعاد إذاً للنفس وحدها"[2].
كذلك ما فعله الرافضة في تأويلهم بأن قول الله [3] قالوا : هذه الآية ليست في الكفار المنكرين للبعث، بل في أعداء الشيعة، الذين ينكرون الرجعة، وتأويل الآخرة والبعث بالرجعة يؤدي حتماً إلى إبطال المعاد .[4]
ومن أمثلة إنكار المعاد وأنه للأرواح فقط؛ القول بالتناسخ، وحقيقته كما تزعم الباطنية:" أن تنتقل النفس من جسم بشري إلى جسم بشري آخر، باعتبار أن النفس لا تموت بل يموت قميصها – الجسم- ويصيبه البلى، فتنتقل النفس إلى قميص آخر، ولا تنتقل إلى حيوان؛ لأن في انتقالها إلى جسم حيوان ظلماً لها"[5]، ويقول النجار نقلاً عن الرسالة التاسعة والستون من رسائل الدروز :" يوم الحساب في هذا المذهب ليس يوم قيامة، إذ ليس فيه موت للأرواح، ولا قيامة لها ولا بعث، فالأوراح لا تموت لتبعث ولا تنام لتوقظ، بل إن يوم الحساب والدينونة نهاية مراحل الأرواح وتطورها، إذ يبلغ التوحيد غايته من الانتصار على العقائد الشركية،

---

[1] (?) انظر المصدر السابق .
[2] (?) الرسالة الأضحوية لابن سينا ص 93 .
[3] (?) سورة النحل من الآية : 16 .
[4] (?) انظر : البرهـان في تفسـير القـرآن لهاشم بن سـليمان البحراني 2/368 .
[5] (?) الحركات الباطنية لمصطفى غالب ص 263 .

وينتهي الانتقال والمرور في الأقمصة المادية لتتصل الأرواح الصالحة بالعقل الكلي على مقدار تكاملها، ذلك هو الثواب يوم الحساب، وهو نهاية النهايات، أما العقاب فهو عذاب التقصير عن بلوغ المراتب والغايات، وهما الجنة والنار في لغتهم الرمزية"[1].

كما أن هناك مذاهب ما زالت تقول بدعوة تناسخ الأرواح؛ كالهندوسية[2]،[3] وممن نهج نهجهم في القول بالتناسخ من الفرق التي تزعم أنها منتمية إلى الإسلام كما سبق من كلام عن الإسماعيلية والدروز.[4]

وهناك قسم من أهل الكتاب يعتقدون بأن الأموات من الصالحين؛ سينتشرون في الأرض؛ ليشتركوا في ملك المسيح الذي سيأتي آخر الزمان.[5]

القول الرابع: إنكار المعاد بالكلية؛ كما هو قول أهل الكفر من العرب؛ قال الله عنهم ﴿ ه

---

[1] (?) مذهب الدروز لعبد الله النجار ص 81 .

[2] (?) الهندوسية: إحدى الديانات الشرقية القديمة، ولا تزال ديانة الجمهرة العظمى في الهند، وهي مجموعة من العادات والتقاليد والأوضاع التي تطورت مع مر الزمن ، ولا يعرف مؤسسها ، من أهم معتقدات الهندوس: القول بتناسخ الأرواح، وأن لكل قوة طبيعية إلهاً، والقول بوحدة الوجود. انظر : أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي ص 39-104، والهندوس والسيخ لمحمد الشيباني ص56-59 .

[3] (?) انظر في ذلك أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي ص39-104.

[4] (?) وانظر للاستزادة : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي د.محمد أحمد الخطيب ص 111، والتأويل الإسماعيلي الباطني د.عبد العزيز سيف النصر ص 153-155، وأضواء على العقيدة الدرزية لأحمد الفوزان ص57-58.

[5] (?) انظر : الأسفار المقدسة د.علي عبد الواحد وافي ص 63، وطباع بني إسرائيل وأثرها في سلوكهم في العصر الحاضر ص 17 .

ﮩ ﮪ [1] وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال جاء العاص بن وائل إلى رسول الله بعظمٍ حائلٍ فَفَتَّهُ بيده، فقال: يا محمد أيحيي الله هذا بعد ما أرم ؟! قال: نعم يبعث الله هذا، ثم يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم، فنزلت الآيات من آخر يس ﮇ ﮈ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ إلى آخر السورة[2]"[3] وكذلك اليونان والهند والترك وغيرهم من المتفلسفة أتباع أرسطو كالفارابي واتباعه ، ولهم في معاد الأرواح ثلاثة أقوال:

أ -أن المعاد للنفس العالمة والجاهلة .

ب -أن المعاد للنفس العالمة دون الجاهلة.

ج -إنكار الاثنين .

وقد قال الفارابي نفسه بالأقوال الثلاثة .[4]

وقسم من أهل الكتاب فإنهم لا يؤمنون بالبعث؛ وهم الصدوقيون؛ فإنهم ينكرون البعث .[5]

---

[1] (?) سورة النحل من الآية : 38 .

[2] (?) سورة يس الآيات : 77-83 .

[3] (?) أخرجه ابن جرير في تفسيره 23/30، وابن أبي حاتم في تفسيره 10/3202، والإسماعيلي في معجم شيوخه 3/742، والحاكم في المستدرك 2/466 وقال :"هذه حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وسكت عنه الذهبي، وأخرجه الضياء في المختارة 10/87، وانظر الدر المنثور للسيوطي 7/74 .

[4] (?) الجواب الصحيح لابن تيمية 6/7-11 والأصفهانية له أيضاً ص213، وانظر الملل والنحل للشهرستاني 2/3-4، والمنقذ من الضلال للغزالي ص 140-145، وشرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى 2/274.

[5] (?)الصدوقيون: إحدى فرق اليهود، وينتسبون إلى صادوق الكاهن الأكبر في عهد سليمان وقيل : إلى صدوق الكاهن تلميذ أنتيخنوس الذي عاش حوالي عام 300 قبل الميلاد، وهم متحررون من تعاليم الشريعة اليهودية، وينكرون المعاد، وينكرون تعاليم التلمود، وهم القائلون بأن عزيراً ابن الله .

أما بالنسبة إلى كيفية إعادة الأجساد فقد وصف الله لنا صفة البعث يقول الله تعالى ﴿ [illegible] ﴾[1] وقال ابن عباس: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال :" أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً، [illegible] "[2]

قال القرطبي :" هذا الباب والذي قبله يدل على أن الناس يحشرون حفاة عراة غرلاً أي غير مختونين، كما بدأنا أول خلق نعيده، قال العلماء : يحشر العبد غداً وله من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه عضو يرد في القيامة عليه حتى الختان"[3].

وقد اختلف الناس في كيفية إعادة الأجساد **على أقوال** :

القول الأول: أن معاد الأجساد هو إعادة بعد إعدام ، بناءً على أن الجواهر تعدم ثم تعاد، فيكون ذلك بعد إعدام جميع أجزاء العالم، وأن المعاد مفتقر إلى أن يبتدئ هذه الجواهر التي أُعدمت، والجهم بن صفوان يقول بعدمها بعد ذلك لامتناع دوام الحوادث عنده في

انظر : الفصل 1/82، والفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه د.حسن ظاظا ص214-216، والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم د.محمد علي البار ص 253-257، واليهودية والمسيحية د.محمد ضياء الرحمن الأعظمي ص 189-192، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام د.علي عبد الواحد وافي ص 64.

[1] سورة الأعراف الآية :57 .

[2] رواه مسلم في صحيحه كتاب صفة الجنة وصفة نعيمها وأهلها 3/521 برقم 2860 .

[3] التذكرة للقرطبي ص 224 .

المستقبل كامتناع دوامها في الماضي، وأبو الهذيل العلاف يقول بعدم الحركات، فعندهم أن الجواهر كلها متماثلة والأجسام مركبة منها، وما ثم إلا تغيير التركيب فقط لا انقلاب ولا استحالة .[1]
القول الثاني: أن الأجساد تتفرق ثم تجمع، بناء على أن إنكار إعادة المعدوم، فالمعاد عندهم هو أن الله يفرق الأجزاء ثم يجمعها .[2]
وهذان القولان يُورد عليهما أمور منها: أن الإنسان الذي يأكله حيوان، وذلك الحيوان أكله إنسان آخر، فإن أعيدت هذه الأجزاء من هذا لم تعد من هذا، وأن الإنسان يتحلل فما الذي يعاد أهو الذي كان وقت الموت؟ فإن قيل ذلك لزم أن يعاد على صورة ضعيفة، وهو خلاف ما جاءت به النصوص، وإن كان غير ذلك فليس بعض الأبدان بأولى من بعض؛ فصار ما ذكروه في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في إنكار معاد الأبدان، وأوجب أن صار طائفة من النظار إلى أن الله يخلق بدناً آخر تعود الروح إليه .[3]
القول الثالث : وهو الذي عليه السلف والجمهور والفقهاء قاطبة؛ أن الأجساد تنقلب من حال إلى حال، والإعادة التي أخبر الله بها هي الإعادة المعقولة في

---

[1](?)انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام 17/246-261، والأصفهانية لابن تيمية ص 212-213 ، ودقائق التفسير لابن تيمية 3/26، وانظر المواقف للعضد الإيجي3/468-474، وشرح المقاضد للتفتازاني 2/213 .
[2](?) المصدر السابق، من القائلين بهذا القول: الكرامية وأبي الحسين البصري ومحمود الخوارزمي من المعتزلة . انظر المواقف 3/469 .
[3](?) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 17/246-261، والأصفهانية له أيضاً ص 212-213، ودقائق التفسير له أيضاً 3/26 .

هذا الخطاب، وهي الإعادة التي فهمها المشركون والمسلمون عن رسول الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .[1]

قال ابن أبي العز:"والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال فتستحيل تراباً ثم ينشئها الله نشأة أخرى كما استحال في النشأة الأولى فإنه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار عظاماً ولحماً ثم أنشأه الله خلقاً سوياً كذلك الإعادة؛ يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب" [2].

---

[1] (?) انظر مجمــوع فتــاوى شــيخ الإســلام 17/246-261، والأصفهانية لابن تيمية ص 212-213 ، ودقائق التفسير لابن تيمية 3/26، وانظر المواقف للعضد الإيجي3/468-474، وشرح المقاضد للتفتازاني 2/213 .

[2] (?) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص 464 .

المبحث الثالث : وزن الأعمال : وفيه أربعة مسائل:

المسألة الأولى : إثبات الوزن :

الواو والزاء والنون بناءٌ يدل على تعديل واستقامة :ووزنت الشيء وزناً . والزِنَةُ : قدر وزن الشيء ، والأصل وزنة .[1]

وأصل الميزان مِوْزان ، قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها ، وجمعه موازين، ويقال للآلة التي يوزن بها الأشياء ميزان ، و تطلق على المثاقيل .[2]

والميزان في الاصطلاح : هو الميزان الثابت بالشرع المطهر المنصوب يوم القيامة لوزن العاملين وأعمالهم وصحائف أعمالهم .[3]

---

[1] (?) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس 6/107، وانظر لسان العرب 13/447 .

[2] (?) انظر:كتاب سيبويه 4/335، وتهذيب اللغة للأزهري 13/176، وانظر لسان العرب لابن منظور 13/446 .

[3] (?) انظر في مفهوم الميزان : تفسير الطبري 8/124 ،فتاوى شيخ الإسلام 4/302 ، مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري 1/472 ، والإبانة للأشعري ص27 ، الاعتقاد للبيهقي 1/211 ، والملل والنحل للشهرستاني 1/102-103 ، والتذكرة للقرطبي ص 338 ، وأصول الدين للغزنوي الحنفي 227-228 ، وتفسير ابن كثير 2/203 ، والاعتصام للشاطبي 1/102، وشرح الطحاوية لابن أبي العز 475، ومنهاج السلامة في ميزان القيامة لابن ناصر الدين الدمشقي ص 46-135، وتحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان لمرعي الكرمي الحنبلي.

قال الله تعالى : [illegible]

[illegible] [1] وقال تعالى : [illegible]
[illegible]

[illegible] [2] وقال تعالى : [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] [3] وفى الصحيحين عن أبي هريرة عن النبى أنه قال : "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" [4] .

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود :"أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجلعت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله :مم تضحكون ؟ قالوا : يا نبي الله، من دقة ساقية، فقال: والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد" [5].

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال :قال رسول الله إن الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً

(?)[1] سورة الأنبياء آية 47 .

(?)[2] سورة القارعة الآيات 6-9 .

(?)[3] سورة الأعراف آية : 8-9 .

(?)[4] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ونضع الموازين القسط 6/2749 رقم 7124 ، ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار 4/2072 رقم 2694.

(?)[5] رواه أحمد في المسند 1/421-422، والبزار في مسنده 8/245، والطبراني في الكبير 9/78، والحاكم في المستدرك من طريق سهل بن حماد، عن شعبة، عن معاوية بن قرة عن أبيه، ثم قال الحاكم:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي في التلخيص. المستدرك 3/358، وقال الهيثمي:"رواه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح" مجمع الزوائد 9/289.

كل سجل مد البصر ثم يقول له أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون قال لا يا رب فيقول ألك عذر أو حسنة فيبهت الرجل فيقول لا يا رب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقول أحضروه فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم[1] "[2] .

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن رسول الله قال: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤوا إن شئتم [3]"[4].

وقد خالف من خالف من أهل البدع في ثبوت الميزان ووزن الأعمال، واختلفوا في الإنكار ونوعوا في الشُبه .

---

[1] (?) هذه اللفظة:"ولا يثقل شـيء بسم الله الـرحمن الـرحيم" عند أحمد، وهي عند الترمذي والحاكم بلفظ:"ولا يثقل مع اسم الله شيء" وسيأتي تخريجه .

[2] (?) أخرجه أحمد في مسنده 2 /213 ، الترمذي في سننه 5/24 وقال :"حسن غريب" ،وابن حبان في صحيحه 1/461 ، والكناني في جـزء البطاقة ص34 ، والحـاكم في المسـتدرك وقال: "هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين وهو صحيح" وقــال الــذهبي في التلخيص : "هــذا على شــرط مســلم" المستدرك 1/46و1/710.

[3] (?) سورة الكهف آية 105 .

[4] (?) أخرجه البخـاري في صـحيحه 4/1759، ومسـلم في صحيحه 4/2147 .

قال الملطي-رحمه الله- : " وأنكر جهم الميزان "[1] وينسب إلى المعتزلة إنكار الميزان ووزن الأعمال اعتماداً على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بنفسها فلا توزن حقيقة .[2]
وخالف في ذلك القاضي عبد الجبار من المعتزلة فنجده يقول : "ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه ، والمتعارف فيما بيننا ، دون العدل وغيره على ما يقول بعض الناس ...يبين ذلك ويوضحه أنه لو كان الميزان إنما هو العدل لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى ، فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشتمل عليه الموازين فيما بيننا"[3] مع أنه خالف في وزن الأعمال [4]فأحال وزن الأعمال لأنها أعراض لكنها توزن بأن يجعل في إحدى الكفتين النور وفي الأخرى الظلمة وتوزن صحف الأعمال لا الأعمال فقال : "وكذلك الميزان يجوز أن يجعل في إحدى الكفتين نوراً ، وفي الأخرى ظلمة ، تبين بهما حال المكلف ، وأنه من أهل النار أو الجنة ، وإنما الذي لا نجوزه وزن الأعمال ؛ لأنها قد قيدت وليست بجسم فيوزن"[5].

---

[1] (?) التنبيه والرد للملطي ص 110 ، وانظر شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن عيسى 1/83.

[2] (?) انظر فتح البـاري لابن حجر 13/538 ، ومقـالات الإسلاميين للأشعري 1/472 ، المواقف للإيجي 3/524 ونسب ذلك لجميع المعتزلة ، شـــــرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني 2/223 .

[3] (?) شـرح الأصـول الخمسة للقاضي عبد الجبـار ص 735 ، وانظر متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص 274 .

[4] (?) شرح الأصـول الخمسة للقاضي عبد الجبـار ص 735 ، وانظر متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص 274 .

[5] (?) المختصر في أصول الدين للقاضي عبد الجبار ص386 .

ويورد الزمخشري في تفسيره الحق والباطل دون أن يختار أي منهما؛ فيقول : "واختلف في كيفية الوزن ؛ فقيل : توزن صحف الأعمال بميزان له لسان وكفتان ، تنظر إليه الخلائق تأكيداً للحجة ، وإظهاراً للنصفة ، وقطعاً للمعذرة ...وقيل : هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العدل "[1].

قال أبو الحسن الأشعري : " واختلفوا في الميزان فقال أهل الحق: له لسان وكفتان توزن في إحدى كفتيه الحسنات وفى الأخرى السيئات فمن رجحت حسناته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل الله عليه فادخله الجنة.

وقال أهل البدع بإبطال الميزان وقالوا: موازين؛ وليس بمعنى كفات وألسن ولكنها المجازاة؛ يجازيهم الله باعمالهم؛ وزناً بوزن، وأنكروا الميزان وقالوا: يستحيل وزن الأعراض؛ لأن الأعراض لا ثقل لها ولا خفة، و قال قائلون: بإثبات الميزان وأحالوا أن توزن الأعراض في كفتين، ولكن اذا كانت حسنات الإنسان أعظم من سيئاته؛ رجحت إحدى الكفتين على الأخرى، فكان رجحانها دليلاً على أن الرجل من أهل الجنة، وكذلك إذا رجحت الكفة الأخرى السوداء كان رجحانها دليلاً على أن الرجل من أهل النار، وحقيقة قول المعتزلة في الموازنة أن الحسنات تكون محبطة للسيئات وتكون أعظم منها، وأن السيئات تكون محبطة للحسنات وتكون أعظم منها "[2].

أما الباطنية فلهم في ذلك شأن آخر فقد قالوا:"ليس الميزان ما ذهبت إليه العامة من وزن الحسنات

---

[1](?) الكشاف للزمخشري 2/67-68 .
[2](?) مقالات الإسلاميين للأشعري 1/472-473 .

والسيئات ، وإنما هو ميزان الحكمة مركب من خمسة جواهر وسبع قطع واثنتي عشر قسطاً ، فالخمسة الجواهر دالة على الأبواب الخمسة ، والسبع القطع دالة على النطقاء السبعة ، والاثنا عشر قسطاً على الاثنتي عشر الحجة ... ومنهم من قال : بل هو الذي إحدى كفتيه الآفات ، والأخرى الأنفس وحجارة الشرائع ، وأمواله العلوم اللاهوتية "[1].

---

[1] (?) عقائد الثلاث والسبعين فرقة 2/687 .

قال الشاطبي:" إذ يمكن إثباته ميزاناً صحيحاً على ما يليق بالدار الآخرة، وتوزن فيه الأعمال على وجه غير عادى، نعم يقر العقل بأن أنفس الأعراض - وهي الأعمال - لا توزن وزن الموزونات عندنا في العادات - وهي الأجسام- ولم يأت في النقل ما يعين أنه كميزاننا من كل وجه، أو أنه عبارة عن الثقل، أو أنفس الأعمال توزن بعينها؛ فالأخلق الحملُ إما على التسليم وهذه طريقة الصحابة -رضى الله عنهم- إذ لم يثبت عنهم إلا مجرد التصديق من غير بحث عن نفس الميزان أو كيفية الوزن"[1] .

وقال ابن أبي العز:"فعلينا الإيما بالغيب، كما أخبر الصادق من غير زيادة ولا نقصان، ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوَّال، وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً .ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده. فلا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه"[2] .

---

[1] (?) الاعتصام للشاطبي 2/328 .

[2] (?) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص 475 .

ويمكن إجمال مذاهب الناس في وزن الأعمال في الآتي :

الأول : إنكار وزن الأعمال بالكلية بناء على إنكار الميزان كما فعلت الجهمية ونسب إلى بعض المعتزلة ، أو تأول الميزان تأويلاً هو محض إنكاره كما فعلت الباطنية .
ودفع ذلك ظاهر بنصوص الكتاب والسنة الثابتة الآنفة الذكر نصاً صريحاً يرد ما أنكروا .
الثاني : إنكار وزن الأعمال اعتماداً على أن الأعمال أعراض لا توصف بالخفة والثقل وأنها إما أن توزن فى حال عدمها أو بعد إعدامها ؛ القسم الأول محال جداً، والقسم الثانى محال ... ثم ولو قدر إعادة الأعراض المتجددة فوزنها لا محالة أيضا متعذر وحركة الميزان بها ممتنعة وإن كانت حركة الميزان بسبب ثقل ما خلقت منه الحركة فليس ذلك وزن الحركة ...[1].
ودفع ذلك بأن الوزن يرجع إلى صحائف الأعمال – وسيأتي الكلام في ما يقع عليه الوزن- فتزول بذلك حجتهم في الإنكار ، ناهيك عما ورد من النصوص المتوافرة الصريحة في وزن الأعمال ، وأن قلب الأعراض أعياناً يوم القيامة في مقدور الله والعقل السليم لا يحيل ذلك ، قال السفاريني رحمه الله : "نهج المعتزلة مباين لنهج الرسول فإن الله تعالى قادر على تجسيم الأعراض والإتيان بها في أحسن صورة ، وأقبح

---

[1] (?) انظر غاية المرام للآمـدي وهو يسـوق هـذا في مناقشة المعتزلة ص302 .

صورة ، وهذا غير محال في العقل وقد ثبت به النقل فوجب اعتقاده والمصير إليه"[1] .
قال ابن حجر : " وقال الطيبي :قيل : إنما توزن الصحف ، وأما الأعمال فإنها أعراض فلا توصف بثقل ولا خفة[2] والحق عند أهل السنة: أن الأعمال حينئذ تجسَّد أو تجعل في أجسام فتصير أعمال الطائعين في صورة حسنة ، وأعمال المسيئين في صورة قبيحة ، ثم توزن ... ونُقل عن ابن عمر قال: توزن صحائف الأعمال قال فإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيرتفع الاشكال "[3] قال ابن أبي العز : " فلا يلتفت الى ملحد معاند يقول الأعمال أعراض لا تقبل الوزن وإنما يقبل الوزن الأجسام فإن الله يقلب الأعراض أجساما"[4]كما ثبت في السنة أحاديث كثيرة تنص على قلب الأعراض أعياناً من تمثل العمل لصاحبه رجلاً في قبره بحسب عمله ، وأن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة كالرجل الشاحب ، وأن البقرة وآل عمران تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان تحاجان عن صاحبهما ، وأنه يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة النار إلى غير ذلك مما دلت عليه النصوص الصريحة من قلب الأعراض أعياناً فوجب قبول ما دل عليه نظيرها في مسألة وزن الأعمال رداً ودفعاً لإنكار من أنكر زونها .

---

[1](?) لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السُّنية للسفاريني 2/181 .
[2](?) والأدلة تدل على خلاف ذلك - وسيأتي الكلام عليه في مسألة على من يقع الوزن- .
[3](?) فتح الباري لابن حجر 13/539 .
[4](?) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص474 .

الثالث : إنكار وزن الأعمال اعتماداً على أن الوزنَ للعلم بمقدارها وهي معلومة لله تعالى فلا فائدة فيه فيكون قبيحاً تنزه عنه الرب تعالى...[1].
والجواب على ذلك أن الله منزه عن العبث وحجب ذلك عنا لا يلزم منه إنكار ما جاء النص به ، مع أن العلماء ذكروا بعض الحكم في زون منها[2]:
1. امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا .
2. إظهار علامة السعادة والشقاوة في الأخرى .
3. تعريف العباد ما لهم من خير وشر .
4. إقامة الحجة عليهم .
5. الإعلام بأن الله عادل لا يظلم .

الرابع : إنكار وزن الأعمال وإنما ذكره الله في القرآن مجازاً لا حقيقة ... وأنه يراد به ترجيح المؤمن على الكافر ، الطاعة على المعصية ، وإظهار الرتب والمنازل من غير كينونة ...[3] أو أنه يفسر بالعدل والإنصاف[4] .
ويجاب على ذلك بمنع المجاز أولاً ، ثم بمعارضة ذلك لنصوص الكتاب والسنة الواردة صراحة بإثبات الوزن والموازين يوم القيامة على الحقيقة ، قال ابن حجر : "وحكى حنبل بن إسحاق في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال رداً على من أنكر الميزان مامعناه : قال

---

[1] (?) انظر المواقف للإيجي 3/524 ، ولوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السُّنية للسفاريني 2/180 .
[2] (?) انظر زاد المسير لابن الجوزي 3/171 .
[3] (?) انظر عقائد الثلاث والسبعين فرقة 1/428 .
[4] (?) انظر لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السُّنية للسفاريني 2/180 .

الله تعالى : ﴿ ﴾(1)وذكر النبي ﷺ الميزان يوم القيامة ، فمن رد على النبي ﷺ فقد رد على الله ﷻ "(2). وقال الإمام أحمد :"والميزان حق توزن به الحسنات ، والسيئات كما يشاء الله أن توزن "(3).

وإن تفسير الميزان بالعدل والإنصاف صرف للنص عن ظاهر حقيقته إلى المجاز مع امتناعه على القول بوجوده ، قال شيخ الإسلام :" الميزان : هو مايوزن به الأعمال وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة " (4) وهو ما يحتجون به وينزلون المراد من الوزن محل الميزان الوارد في الشرع ، قال ابن سيده : "وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ إلا أن الأولى أن يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح فإن جاء في الخبر أنه ميزان له كفتان من حيث ينقل أهل الثقة فينبغي أن يقبل ذلك "(5).

قال القرطبي : "وهذا القول : مجاز وليس بشيء – يعني القول بأن الميزان هو العدل- وإن كان شائعاً في اللغة ؛ للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي ووصفه بكفتين ولسان ، وإن كل كفة منهما طباق السموات والأرض "(6).

قال الفخر :"إن حمل الموازين على مجرد العدل ، وصرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة غير جائز لا سيما وقد جاءت الأحاديث الكثيرة

(?)[1] سورة الأنبياء آية : 47 .
(?)[2] فتح الباري لابن حجر 13/538 .
(?)[3] السنة للإمام أحمد ص73 .
(?)[4] فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 4/302 .
(?)[5] المحكم لابن سيده 9/109 .
(?)[6] التذكرة للقرطبي ص 341 .

بالأسانيد الصحيحة في هذا الباب "[1] وللحافظ ابن كثير توجيه حسن للمأثور عن بعض السلف في تفسير الميزان بالعدل حيث قال :"لعل هؤلاء –مجاهد والأعمش والضحاك- إنما فسروا هذا عند قوله : [illegible] [2] فالميزان في قوله [illegible] ووضع الميزان [illegible] أي العدل ، أمر الله عباده أن يتعاملوا به فيما بينهم ، فأما الميزان المذكور في زنة القيامة ، فقد تواترت بذكره الأحاديث ... وهذا ظاهر القرآن العظيم [illegible] [3] [illegible] [4] وهذا إنما يكون لشيء محسوس "[5].

---

[1] (?) التفسير الكبير للرازي 22/153 .

[2] (?) سورة الرحمن الآيات 7-9 .

[3] (?) سورة الأعراف آية 8 .

[4] (?) سورة الأعراف آية 9 .

[5] (?) النهاية لابن كثير 19/514. .

المسألة الثانية : ما يقع عليه الوزن :

هل يقع الوزن على العامل؟ أم الذي يوزن هو صحائف الأعمال؟ أم أن الموزون هو العمل نفسه؟ أهل العلم مختلفون في ذلك، ويمكن إبراز هذه المسألة على النحو الآتي:

أولاً : وزن العامل :

وقد دل على ذلك ما ورد من أن ساقي ابن مسعود في الميزان أثقل من أحد ، وحديث الرجل السمين والذي لا يزن عند الله يوم القيامة جناح بعوضة[1] فمثل هذه النصوص تدل على أن الوزن يقع على عين العامل .

ثانياً : وزن صحائف الأعمال :

وقد دل على وزن صحائف الأعمال ما ورد في حديث البطاقة في إحدى روايته عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال :قال :رسول الله : " توضع الموازين يوم القيامة فيؤتي بالرجل فيوضع في كفة فيوضع ما أحصى عليه فتمايل به الميزان قال فيبعث به إلى النار قال فإذا أدبر به إذا صائح يصيح من عند الرحمن يقول لا تعجلوا لا تعجلوا فإنه قد بقى له فيؤتي ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان "[2]قال ابن كثير :"وهذا

[1] (?) كل هذه الأحاديث وردت في بداية المطلب الأول من هـذا المبحث ص 94-95 .*

[2] (?) أخرجه أحمد في مسنده 2/221 ، قال ابن كثير :"وهذا السياق فيه غرابة ، وفيه فائدة جليلة وهو أن العامل يــوزن مع عمله " النهاية 19/501، قال الهيثمي:"رواه الترمذي باختصار، ورواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله رجـــال الصحيح" مجمع الزوائد 10/82 ، وحسنه السيوطي في الـدر

السياق فيه غرابة ، وفيه فائدة جليلة وهو أن العامل يوزن مع عمله "[1] .

قال الفخر الرازي:" المسألة السابعة: وزن الأعمال حق؛ ويكون المراد منه إما: وزن صحائف الأعمال، أو أن الله تعالى يظهر الرجحان في كفة الميزان على وفق مقادير أعمالهم في الخير والشر، ... والله تعالى قادر على كل الممكنات وكذا القول في الحوض والصراط "[2].

ثالثاً : وزن الأعمال :

ويكون ذلك بتجسيم العمل يوم القيامة ثم يوضع في الميزان ، ويدل على ذلك حديث البطاقة[3]، وأن سبحان الله ثقيلة في الميزان[4]؛ فهذا يدل على أن الأعراض تنقلب يوم القيامة أعياناً ، لتوزن يوم القيامة.

المنثور3/421 وعزاه إلى مسند أحمد.

[1] (?) النهاية لابن كثير 19/501 .

[2] (?) معالم أصول الدين للرازي ص 128 .

[3] (?) مضى تخريج هذا الحديث في ص95. *

[4] (?) مضى تخريج الحديث في ص94. *

وحاصل ما سبق أن أهل العلم مختلفون في حقيقة الوزن فقد يكون لصحف العمل كما صحح ذلك القرطبي[1] والسفاريني[2] والشوكاني[3] وهو مذهب عامة المفسرين كما حكاه الرازي[4] بل نقل البيضاوي[5] والآلوسي[6] أنه قول عامة الجمهور .

وقد يكون للعمل كما صَوَّب ذلك ابن جرير[7]وابن حجر[8].

ويمكن الجمع بين الآثار: فيكون الوزن يوم القيامة للعامل والعمل وصحيفة العمل ، قال ابن كثير : " وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً فتارة توزن الأعمال وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها والله أعلم"[9].

قال ابن أبي العز: " فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال وثبت أن الميزان له كفتان والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق من غير زيادة ولا نقصان ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكمة عليه ويقدح في النصوص بقوله لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال

---

1 (?) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 7/165 .
2 (?) انظر لوائح الأنوار للسفاريني 2/196 .
3 (?) انظر فتح القدير للشوكاني 2/190 .
4 (?) انظر التفسير الكبير 14/21 .
5 (?) انظر تفسير البيضاوي 3/6 .
6 (?) انظر روح المعاني للآلوسي 8/82 .
7 (?) انظر تفسير الطبري 8/123.
8 (?) انظر فتح الباري لابن حجر 13/539 .
9 (?) تفسير ابن كثير 2/203 .

إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه "[1]وقال حافظ حكمي : "والذي استظهر من النصوص – والله أعلم – أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن ؛ لأن الأحاديث التي في بيان الميزان قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها"[2] ولعل هذا هو الصواب – والله أعلم -.

---

[1] (?) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص475 .

[2] (?) معارج القبول لحافظ حكمي 2/227 .

المسألة الثالثة : وزن الإيمان :

ثبت من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف ؛ أن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بفعل المعصية ، وأن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان ، وأن له شعب متعددة كل شعبة تسمى إيماناً ؛ منها ما لا يزول الإيمان بزوالها كشعبة إماطة الأذى عن الطريق ، ومنها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة [1]، من هنا ينطلق من يخالف المنهج الحق فإذا خالف في مسمى الإيمان واعتبره التصديق، وأن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان ؛ فإنه سيخالف في زون الإيمان بناءً على الأصل الفاسد الذي تأصل عنده ؛ ومن ذلك ما ذكره النسفي حيث قال : "إن الإيمان لا يوزن ؛ لأنه ليس له ضد يوضع في كفة الميزان الأخرى لأن ضده الكفر ، والإيمان والكفر لا يكونان في الإنسان الواحد "[2] .

ولا ريب أن هذا تبع للأصل الفاسد الذي بنى عليه هذا القول وهو أن الإيمان هو مجرد التصديق وأن الأعمال غير داخلة في مسماه ، قال السفاريني :"ونحن نقول : الذي يوزن ثواب الإيمان ، وثواب العمل الصالح ، هذا الذي يظهر لي ،والله سبحانه وتعالى أعلم "[3] .

---

[1](?) انظر كتاب الإيمان لابن منده 1/341-345 ، والإيمان لأبي يعلى ص152-155، 162 ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية 7/223-229، 390، 440 ، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص 475.

[2](?) بحر الكلام للنسفي ص81-82 .

[3](?) البحور الزاخرة للسفاريني الكتاب الثالث 2/453 .

المسألة الرابعة : المستثنون من الوزن :

جاءت الأحاديث بالذين يدخلون الجنة بغير حساب ، قال القرطبي : "قال أبو حامد : والسبعون الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان ، ولا يأخذون صحفاً .."[1].

ولعل الأظهر هو ما رجحه ابن كثير حيث قال : " قلت وقد تواترت الأخبار في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ولكن يلزم من هذا ألا توزن أعمالهم، وفي هذا نظر، والله أعلم. وقد توزن أعمال السعداء وإن كانت راجحة؛ لإظهار شرفهم وفضلهم على رؤوس الأشهاد، والتنويه بسعادتهم ونجاتهم، وإن كان لا حساب عليهم "[2] .

أما ما يتعلق بالكفار فقد جاء في حقهم الآيات على ضربين :

الأول : قد يفهم منه نفي الوزن ، كما في قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾[3] هذه الآية قد يُستشهد بها على نفي الوزن في حق الكافر ، وقد جاء في حديث أبي هريرة أن النبي قال : " إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤوا إن شئتم [illegible] ﴿ [illegible] ﴾[4]"[5] .

---

[1] (?) التذكرة للقرطبي ص338 .

[2] (?) النهاية لابن كثير 19/515 .

[3] (?)سورة الكهف آية 105 .

[4] (?) سورة الكهف آية 105 .

[5] (?) أخرجه البخاري في صحيحه 4/1759، ومسلم في صحيحه 4/2147 .

فإن هذا ومثله قد يستشهد به على نفي الوزن عن الكافر قال السفاريني :"والحق أنه لا يوزن لهم عمل ، والله أعلم "[1].

الثاني : يفهم منه إثبات الوزن ، كما في قوله تعالى : [illegible][2] وقال تعالى : [illegible][3] وقال تعالى : [illegible][4]

وانتصر القرطبي لهذا القول حيث قال : "وهذه الآيات إخبار لوزن أعمال الكفار لأن عامة المعنيين بقوله : خفت موازينه في هذه الآيات هم الكفار "[5].

ويمكن أن يجمع بين الأمرين بأحد شيئين :

1. أن الوزن للكفار يوم القيامة ليس عاماً بل هو خاص ببعض دون بعض ، لأن من الكفار من يعجل به إلى النار بغير حساب وهم المذكورون في قوله تعالى : [illegible][6].
2. أن يكون تخصيص الكفار المذكورين بالمنافقين لأنهم يبقون في المسلمين ، وأهل الكتاب الذين لم يبدلوا ، بعد لحوق كل أمة بما كانت تعبد ... وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها .[7]

(?)[1] البحور الزاخرة للسفاريني الكتاب الثالث 2/467 .
(?)[2] سورة الأنبياء آية 47 .
(?)[3] سورة القارعة الآيات 6-9 .
(?)[4] سورة الأعراف آية : 8-9 .
(?)[5] التذكرة للقرطبي ص 336 .
(?)[6] سورة الرحمن آية 41 .
(?)[7] انظر لوائح الأنوار للسفاريني 2/204 .

قال العلامة مرعي الحنبلي :"فظهر من هذا أن قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾[1]محمول على من يعجل به للنار والآيات الأخرى في حق بقية الكافرين فإذاً لا تعارض بين الآيات ولا مجاز في الآية "[2].

فيكون الجمع بين الأمرين بأن الوزن يقع لبعض الكفار ويعجل بقسم منهم إلى النار-نسأل الله العافية- بلا وزن .

ويُستشكل بأن وزن أعمال المؤمن يكون بتقابل الحسنات والسيئات ، أما الكافر فليس له حسنات فكيف يكون الوزن في حقه .

وجواب ذلك كما قال القرطبي :" أن ذلك على وجهين :
أحدهما : أن الكافر يحضر له ميزان فيوضع كفره أو كفره وسيئاته في أحدى كفتيه، ثم يقال له : هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى ؟ فلا يجدها فيشال الميزان فترتفع الكفة الفارغة وتقع الكفة المشغولة ، فذلك خفة ميزانه فارغاً فهو خفيف .
والوجه الآخر : أن الكافر يكون منه صلة الأرحام ومواساة الناس وعتق المملوك ونحوهما مما لو كانت من المسلم لكانت قربة وطاعة ، فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنها تجمع وتوضع في ميزانه ، غير أن الكفر إذا قابلها رجح بها ولم يخل من أن يكون الجانب الذي فيه الخيرات من ميزانه خفيفاً ولو لم يكن له إلا خير واحد أو حسنة واحدة لأحضرت ووزنت "[3].

---

[1] (?) سورة الكهف آية 105 .
[2] (?) بهجة الناظرين وآيات المستدلين لمـرعي الحنبلي ورقة 136/ب .
[3] (?) التذكرة للقرطبي ص 340 .

فيجازى الكافر على ما عمل من خير لكن الله حرم عليه الجنة فيجازى بالتخفيف عنه كحال أبي طالب .[1]
قال ابن حجر :"ويحتمل أن يجازى بها عما يقع منه من ظلم العباد مثلاً ، فإن استوت عذب بكفره مثلاً فقط ، وإلا زيد عذابه بكفره أو خفف عنه كما في قصة أبي طالب"[2].

---

[1] (?) انظر التذكرة للقرطبي ص 340 .
[2] (?) فتح الباري لابن حجر 13/538 .

المبحث الرابع : الجنة والنار : وجودهما وأبديتهما:

المسألة الأولى: وجود الجنة والنار :

لا شك أنَّ مذهب أهل الحق أهل السنة والجماعة؛ هو أنَّ الجنة والنار موجودتان الآن؛وما فيهما من النعيم والعذاب موجود الآن؛ لما ثبت بالكتاب والسنة؛ فوجود الجنة والنار هو مثل عدم فنائهما.

يقول الله تعالى عن الجنة ﴿پ ٻ ﴾[1]وعن النار ﴿ ﴾[2]وعقد الإمام البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق باباً بعنوان : باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة[3]قال ابن حجر :" أي موجودة الآن، وأشار بذلك إلى الرد على من زعم من المعتزلة أنها لا توجد إلا يوم القيامة، وقد ذكر المصنف في الباب أحاديث كثيرة دالة على ما ترجم به؛ فمنها ما يتعلق بكونها موجودة الآن، ومنها ما يتعلق بصفتها"[4] .

وروى الترمذي عن أبى هريرة عن النبي أنه قال:" لما خلق الله الجنة، أرسل جبريل إليها، فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاءها، فنظر إليها، وإلى ما أعد الله لأهلها فيها،قال: فرجع إليه، قال: فوعزتك لايسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال: فارجع إليها فانظر ما أعددت لأهلها فيها، قال: فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره، فرجع إليه، فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد،

---

[1](?) سورة آل عمران من الآية : 133 .
[2](?) سورة البقرة من الآية : 24 .
[3](?) صحيح البخاري 3/1183 .
[4](?) فتح الباري لابن حجر 6/320 .

قال: فاذهب إلى النار، فانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فجاءها فنظر فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فرجع إليه، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع إليها، فرجع إليها، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها"[1].

وفي حديث الإسراء عن أنس قال : قال رسول الله :" ثم انطلق بي جبريل حتى نأتي سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك"[2] .

ومن الأدلة على أنهما موجودتان الأحاديث التي يذكر فيها النبي أنه رأى الجنة والنار ورأى أهلهما كحديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : خسفت الشمس على عهد رسول الله فصلى ، قالوا : يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك تكعكعت، قال: " إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا" [3].

وأيضاً ما رواه أنس بن مالك قال : صلى بنا رسول الله ذات يوم فلما قضى الصلاة، أقبل علينا بوجهه،

---

[1] (?) رواه الترمذي في سننه4/693، وأحمد في مسنده 2/332، وأبو داود في سننه 4/236، والنسائي في السنن الكبرى 3/121، وفي المجتبى له 7/3، وابن حبان في صحيحه 16/406، وأبو يعلى في مسنده 10/345، قال الحاكم:"هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقد رواه حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو بزيادة ألفاظ" المستدرك 1/79 وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

[2] (?) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان 1/148 رقم 163.

[3] (?) متفق عليه؛ رواه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح باب كفران العشير 5/1994 برقم 4901، ومسلم في صحيحه في كتاب الكسوف 2/618 برقم 907 .

فقال :" أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف، فإني أراكم أمامي ومن خلفي ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً، قالوا : وما رأيت ؟ يا رسول الله ، قال: رأيت الجنة والنار"[1].

قال الإمام أبو حنيفة –رحمه الله- في الفقه الأكبر:"والجنة والنار مخلوقتان اليوم لا تفنيان، ولا تموت الحور العين أبداً، ولا يفنى عقاب الله – تعالى- وثوابه سرمداً"[2]، وقال الإمام أحمد:" وخلق النار قبل خلق الخلق،وخلق لها أهلاً، وعذابها، دائم"[3]، وقال البربهاري :" والإيمان بأن الجنة والنار حق، وأنهما مخلوقتان ... لا تفنيان أبداً بقاؤهما مع بقاء الله أبد الآبدين ودهر الداهرين"[4]، وقال الآجري:" كتاب الإيمان والتصديق بأن الجنة والنار مخلوقتان"[5]، وقال وقال ابن الحنبلي :" مخلوقتان لا تفنيان وما فيهما"[6]، وقال قوام السنة:"والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان؛ لأنهما خلقتا للأبد لا للفناء"[7] وقال المقدسي:" والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان..."[8]، وقال ابن أبي العز الحنفي :" وقوله : والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان؛ هذا مذهب الجمهور –كما تقدم- ولا شك في

---

[1] (?) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة 1/320 برقم 426.
[2] (?) الفقه الأكبر ص 63 .
[3] (?) طبقات الحنابلة لأبي نعيم 1/344 .
[4] (?) شرح السنة ص 27 .
[5] (?) كتاب الشريعة 3/1343 .
[6] (?) الرسالة الواضحة 2/1019 .
[7] (?) الحجة في بيان المحجة 2/280 .
[8] (?) لمعة الاعتقاد ص 27 .

فساد قول من منع ذلك في الماضي والمستقبل، كما ذهب الجهم وأتباعه"[1]، وقال ابن عثيمين :" و هما موجودتان الآن ، ولن تفنيا أبد الأبدين"[2].
وقد خالف في ذلك بعض أهل البدع من المتكلمين وغيرهم حيث أنكروا أن تكون الجنة موجودة كالنار، وقالوا بل ينشأها الله يوم القيامة؛ بل زادوا في غيهم وقالوا أن خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- فإنهما يصيران معطلتين مدداً متطاولة ليس فيهما سكانهما، فحجروا على الرب بعقولهم الفاسدة، وشبهوا أفعال الله بأفعالهم، وردوا النصوص بل وضللوا كل من خالفهم،[3] بل وإثر عن الفوطي [4] قوله:" إن الجنة والنار ليستا بمخلوقتين الآن، وإن كل من قال أنهما مخلوقتان الآن فهو

---

[1](?) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص 137 .
[2](?) عقيدة أهل السنة ضمن مجموع فتاوه 3/253 .
[3](?) انظر: الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص150، والفصل لابن حزم 4/68، والتبصير في الدين للإسفراييني ص 76-77، وشرح المقاصد للتفتازاني 2/218-219، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص476، ولوامع الأنوار للسفاريني 2/233 .
[4](?) هشام بن عمرو الفوطي؛ معتزلي من أصحاب أبي الهديل، ثم انحرف عنه، وكان داعية إلى الاعتزال، وكان لا يجيز لأحدٍ أن يقول حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا إن الله تعالى يعذّب الكفّار بالنّار، ولا إنّه يحيي الأرض بالمطر، ويرى أنّ القول بأنّ الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء إلحادٌ وضلالٌ، ويقول: قولوا حسبنا الله ونعم المتوكل عليه، وقولوا إنّ الله يعذب الكفار في النّار، ويحيي الأرض عند نزول المطر، وله أقوال غير ذلك. انظر الفصل لابن حزم 4/149، والأنساب للسمعاني 5/643، وتاريخ الإسلام للذهبي 16/441-442 ،والتعريفات للجرجاني ص 320.

كافر"[5]؛ لذلك صار السلف الصالح يذكرون في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان الآن وينسبونها لأهل القبلة قاطبة ، قال ابن القيم :"الباب الأول في بيان وجود الجنة الآن؛ لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته؛ مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما عُلم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم؛ فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن، وقالت بل الله ينشئها يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات، وقالوا خَلْقُ الجنة قبل الجزاء عبث، فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها، قالوا ومن المعلوم أن ملكاً لو أتخذ داراً وأعدَّ فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح، وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قروناً متطاولة؛ لم يكن ما فعله واقعاً على وجه الحكمة، ووجد العقلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه، فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الباطلة، وشبهوا أفعاله بأفعالهم، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب، أو حرفوها عن مواضعها، وضلَّلوا وبدَّعوا من خالفهم فيها والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء، ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة

---

[5](?) انظر الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص 150، والتبصير في الدين للإسفراييني ص 76-77.

والنار مخلوقتان، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها"[1]وقال ابن أبي العز :"اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك وقالت بل ينشئهما الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا خَلْقُ الجنة قبل الجزاء عبث؛ لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة، التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم"[2] .

---

[1](?) حادي الأروح لابن القيم ص 11 .

[2](?) شـرح العقيـدة الطحاوية لابن أبي العز ص 476، وانظر في ذلـك: الفـرق بين الفـرق لعبد القـاهر البغـدادي ص150، والفصل لابن حزم 4/68، والتبصير في الدين للإسفراييني ص 76-77، وشـرح المقاصد للتفتـازاني 2/218-219 ، ولوامع الأنوار للسفاريني 2/233 ..

المسألة الثانية : بقاء الجنة والنار وأبديتهما :

انقسم الناس في مسألة بقاء الجنة الناء وفنائهما على ثلاثة أقوال :
القول الأول : القول بفناء الجنة والنار جميعاً ، وحُكي هذا القول عن الجهم بن صفوان وأتباعه[1]، وقول جهم مبني على أصله الفاسد من امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث، وهو عمدة أهل الكلام الذين استدلوا على حدوث الأجسام،وحدوث ما لم يخل من الحوادث بها ، وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم، وقد وافق أبو الهذيل العلاف جهماً في القول بفناء الجنة والنار لكنه قال : هذا إنما يقتضي فناء الحركات، فقال : إنه تفنى حركات أهل الجنة والنار، حتى يبقوا في سكون دائم لا يقدر أحد منهم على الحركة، ومذهبه هذا طرداً لامتناع حوادث لا نهاية لها، والجنة والنار عنده وسواء، وهو جمع بين النقيضين.[2]

القول الثاني : القول ببقاء الجنة وفناء النار وحدها؛ والذي قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : (ففيها قولان معروفان عن السلف والخلف ، والنزاع في ذلك معروف عن التابعين ومن بعدهم) [3].

---

[1] (?) التبصير في الدين للاسفراييني ص 108.
[2] (?) انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي ص 319، الفصل لابن حزم 4/140، والملل والنحل للشهرستاني 1/51، والتبصير في الدين للاسفرايين ص 108، والمواقف للعضد الإيجي 3/653، بيان تلبيس الجهمية لابن القيم 1/549.
[3] (?) الرد على من قال بفناء الجنة والنار لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 52، وقد استدل ابن القيم –رحمه الله-لهذا القول بأوجه فصَّل فيها في كتابه حادي الأرواح ص 257-274 ، وقد

ومن الحجج التي يتكأ عليها من يقول بهذا القول؛ قول الله [1] وأن الاستثناء يدل على أنهم غير خالدين فيها،وكذلك قول الله [2] فيكون معنى هذا أنهم لا يلبثون فيها أبداً بل مدة البقاء محددة بأحقاب، ثم تنتهي هذه المدة .

والجواب على هذا من عدة أوجه :

أحدها: أن قول الله تعالى إلا ما شاء الله معناه إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين، كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة

قال السفاريني :"قول من يقول: أن الله تعالى يفنيها لأنه ربها وخالقها، لأنه تعالى على زعم أرباب هذا القول جعل لها أمداً تنتهي إليه، ثم تفنى ويزول عذابها، -قال شيخ الإسلام : وقد نقل هذا عن طائفة من الصحابة والتابعين – ولشيخ الإسلام وتلميذه الإمام المحقق ميل إلى هذا القول، وذكر على تأييده بضعاً وعشرين وجهاً، ثم قال : وما ذكرناه في هذه المسألة من صواب فمن الله وهو المان به، وما كان من خطأ فمنى ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، والله عند لسان كل قائل وقصده والله أعلم" لوامع الأنوار ص235، وقد حقق في القسم الأستاذ الدكتور محمد السمهري رسالة لشيخ الإسلام في بيان الأقول- الرد على من قال بفناء الجنة والنار- ولم يظهر منها الميل إلى القول بفناء النار؛ بل هو إظهار لأدلة كل فريق من غير ترجيح، وله تصريح بموافقة جمهور أهل السنة بخلود الجنة والنار، وانظر في ذلك : كتاب توقيف على خلود أهل الدارين لمرعي بن يوسف الكرمي ، وكتاب رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للصنعاني، وكتاب كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار د.علي اليماني.

[1] (?) سورة هود الآيتان : 106-107 .

[2] (?) سورة الأنعام الآية : 128 .

المخالفة لعقيدة الخوارج والمعتزلة الذين يقولون بتخليد صاحب الكبيرة.
الثاني : أن المدة التي استثناها الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم واستقرارهم في مصيرهم.
الثالث : أن قوله ﴿إلا ما شاء الله ﴾ فيه إجمال وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبداً، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات فالظاهر مقدم على المجمل .[1]

القول الثالث : القطع ببقاء الجنة النار وبقاء عذابهما وهو قول أهل الإسلام جميعاً، وهو ما استقر عليه قول أهل السنة والجماعة .[2]
فبقاء الجنة النار متعين قطعاً ، فخلود الجنة وبقاؤها قد دل عليه الكتاب والسنة إجماع أهل السنة والجماعة[3]؛ يقول الله تعالى ﴿ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﴾[4]وقال تعالى ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﴾[5]ونفى الله ﷻ الخروج منها والموت فيها تأكيداً لمعنى أبدية الخلود فقال ﴿ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﴾[6]وقال تعالى ﴿ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﴾[7] وقال ﴿ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﴾

[1] (?)انظر:دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للعلامة محمد الأمين الشنقيطي ص106-111.
[2] (?) انظر في هذا التقسيم الرد على من قال بفناء الجنة والنار لشيخ الإسلام ابن تيمية ص41-87.
[3] (?) نقل الإجماع القرطبي في التذكرة ص 478، وابن حجر في الفتح 11/429، والسفاريني في لوامع الأنوار 2/234 .
[4] (?) سورة النساء الآية:57 .
[5] (?) سورة النساء الآية : 122 .
[6] (?) سورة الحجر الآية : 48 .
[7] (?) سورة الدخان الآية : 56 .

[1]وغيرها من الآيات كثير، أما في شأن النارفالآيات فقد صرحت بذلك يقول الله تعالى [2] وقد جاء ذكر بقاء النار في القرآن على التأبيد في عدة مواضع؛ من ذلك قول الله : [3] وقال تعالى : [4] .

وقال تعالى [5] وقال تعالى [6]

وغير ذلك من الآيات .

ومن السنة حديث قصة ذبح الموت فعن أبي سعيد قال : قال رسول الله :" يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادي منادٍ : يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي : يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ، و يا أهل النار : خلود فلا موت ثم قرأ [7]وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا [8]" [9].

(?)[1] سورة هود الآية : 108.

(?)[2] سورة البقرة الآية : 81 .

(?)[3] سورة فصلت من الآية : 28 .

(?)[4] سورة النساء الآيتان : 168-169 .

(?)[5] سورة الأنبياء الآيتان : 98-99 .

(?)[6] سورة الزخرف الآيتان : 74-75 .

(?)[7] سورة مريم من الآية : 39 .

(?)[8] سورة مريم من الآية : 39 .

ولذلك نجد أن كثيراً من العلماء جعل هذا من العقيدة بأن ينص على أنه يؤمن ويعتقد بتأبيدهما،
قال الإمام أحمد :" وخلق النار قبل خلق الخلق، وخلق لها أهلاً، وعذابها دائم" [1]قال ابن حزم : (اتفقت الأمة كلها على أن لا فناء للجنة ولا لنعيمها ،ولا للنار ولا لعذابها، إلا جهم بن صفوان) [2] وقال : (والنار حق وأنها دار عذاب ، لا تفنى ولا يفنى أهلها بلا نهاية) [3].
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :" وقال أهل الإسلام جميعاً ليس للجنة والنار آخر وأنهما لا تزالان باقيتين، وكذلك أهل الجنة لا يزالون في الجنة يتنعمون، وأهل النار في النار يعذبون، ليس لذلك آخر ولا لمعلومات الله ومقدوراته غاية ولا نهاية"[4].
وقال السفاريني بعد أن ساق الآيات والأحاديث الدالة على بقاء الجنة والنار :" فثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً، كلٌ بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم، وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة، فأجمعوا أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع، ودليل ذلك الكتاب والسنة"[5].
قال ابن باز : (وقال بعض السلف : إن النار لها أمد ولها نهاية ، بعد ما يمضي عليها آلاف السنين والأحقاب

---

[9](?) أخرجه البخاري في صحيحه من رواية أبي سعيد الخدري في كتاب تفسير القرآن باب قوله : وأنذرهم يوم الحسرة 2/1760 برقم 4453 ، ومسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها 4/2188برقم 2849 .

[1](?) طبقات الحنابلة لأبي يعلى 1/344 .

[2](?) الفصل لابن حزم 4/68 .

[3](?) مراتب الإجماع لابن حزم ص 173 .

[4](?) درء التعارض لشيخ الإسلام ابن تيمية 2/358 .

[5](?) لوامع الأنوار للسفاريني 2/234 .

الكثيرة ، وأنهم يموتون أو يخرجون منها . وهذا قول ليس بشيء عند جمهور أهل السنة والجماعة، بل هو باطل ترده الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة... وقد استقر قول أهل السنة والجماعة أنها باقية أبد الآباد، وأنهم لا يخرجون منها ، وأنها لا تخرب أيضاً، بل هي باقية أبد الآباد في ظاهر القرآن الكريم وظاهر السنة الثابتة عن النبي)[1].

---

[1] (?) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ، جمع محمد الشويعر 4/363 ، وقد ألف في هذه المسألة كتب مفردة : مثل رسالة لشيخ الإسلام في الرد على من قال بفناء الجنة والنار ، وكتاب توقيف على خلود أهل الدارين لمرعي بن يوسف الكرمي ، وكتاب رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للصنعاني، وكتاب كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار د.علي اليماني، وكتاب الاستنفار لمحق القول بفناء النار وتبرئة الصحابة الأبرار والسلف الأطهار مما افتراه صاحب الإنكار، لسليمان بن عبد الله البهيجي، الإنكار على من لم يعتقد خلود وتأبيد الكفار في النار(ويتضمن شرح كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية في مسألة الفناء) تأليف الشيخ عبدالكريم بن صالح الحميد .